السقوط فى الوحل نجاة من قسوة الحرمان
البغاء بدافع الفقر فى العصر البيزنطى الباكر (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د/ أسامة فايز استقلال أحمد
مدرس بقسم التاريخ
كلية الآداب، جامعة عين شمس.

الملخص

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على الفقر بوصفه من أهم الدوافع الرئيسية التى كفلت للبغاء الاستمرار كموروث قديم فى العصر البيزنطى الباكر الذى غدت خلاله المسيحية الدين الرسمى للدولة البيزنطية، بكل ما تحمله هذه الديانة من تحريم للزنا والفحش بمختلف أشكاله. ويتضح من البحث أن الفقر كان هو الدافع الأساسى الذى حدا بأسر فقيرة معدمة فى ذلك العالم البيزنطى المسيحى إلى بيع فتياتها كسلع رخيصة الثمن من أجل توفير لقمة العيش، كما حدا الفقر كذلك ببعض النسوة لبيع أجسادهن واتخاذ البغاء وسيلة للكسب على خلفية ظروف اجتماعية واقتصادية سيئة افتقدن فيها لوجود معيل يتولى الانفاق عليهن وضاقت بهن فرص الحصول على كسب شريف. وفى ضوء مصادر تاريخية تتنوع بين وثائقية وتشريعية وأدبية ..، ينظر هذا البحث فى الجهود التى بذلتها الدولة البيزنطية، وتتطوع بها أهل الخير والإحسان، لصالح العاهرات اللواتى أُكرهن على البغاء بدافع الفقر والحرمان. وقد اتبع الباحث فى معالجته لموضوع البحث المنهج التحليلى القائم على عرض النصوص والمعلومات التى تقدمها المصادر التاريخية وتحليلها بغية الخروج منها بأفضل تخريجات ونتائج ممكنة، كما أفاد الباحث أيضًا من الدراسات الحديثة التى تطرقت إلى بعض جوانب موضوع البحث. وفى ختام البحث حرص الباحث على تقديم أهم النتائج التى

(*) مجلة "وقائع تاريخية" عدد (٣٤) يناير ٢٠٢١، الجزء الأول

توصل إليها من خلال دراسته للموضوع، عارضًا رؤيته التحليلة للعناصر التى اشتمل عليها البحث.

الكلمات المفتاحية:

البغاء، الدعارة غير الطوعية، العاهرات المكرهات، الفقر، التاريخ البيزنطى، العصر الباكر.

Falling into mire to survive the harshness of deprivation The early Byzantine poverty-driven prostitution

Abstract

This research attempts to shed light on poverty as it is one of the main motives that ensured prostitution to continue as an ancient heritage in the early Byzantine Era during which Christianity became the Byzantine Empire's official state religion, with all the prohibitions contained in this religion against adultery and obscenity in its various forms. It is clear from the research that poverty was the main motive that led poor and impoverished families in that Christian Byzantine world to sell their girls as inexpensive commodities in order to provide for a living, and poverty also led some women to sell their bodies and take prostitution as a means of earning, as such women went through bad social and economic conditions lacking a breadwinner in charge of spending on them, while their chances of obtaining honorable earnings were narrowed in a way or another. In the light of historical sources varying between documentary, legislative and literary .., this research looks at the efforts made by the Byzantine state and benevolent volunteers in favor of prostitutes who were forced into prostitution out of poverty and deprivation. In his treatment of the research topic, the researcher followed the analytical method based on displaying texts and information provided by historical sources and analyzing them in order to get out the best possible outputs and results, and the researcher also took advantage of the recent studies that touched on some aspects of the research topic. At the conclusion of the research, the researcher was keen to present the most important results that he reached through his study of the subject, as well as displaying his analytical vision of the elements that were included in the research.

فى دراسته "بعض جوانب الحياة اليومية فى بيزنطة"، تطرق بيتر كارانيس Peter Charanis للحديث عن البغاء بوصفه مفسدة عرفها المجتمع

البيزنطى كغيره من المجتمعات الأخرى، وأكد كارانيس أن الدعارة كانت مهنة مقبولة فى بيزنطة على الرغم من اعتراضات الكنيسة، بل وعلى الرغم من الجهود المختلفة التى بذلتها فى بعض الأوقات كل من الدولة والكنيسة للحد من البغاء وتحجيم شروره سواء فى العاصمة الإمبراطورية أو فى غيرها من المدن الكبرى، ومع ذلك لم تخلُ أى مدينة مهمة فى العالم البيزنطى من الأحياء الحمراء والأماكن المخصصة لمزاولة مهنة الدعارة(١).

وفى أطروحتها "البغاء فى بيزنطة فى العصر الباكر"، قدمت شتاڤرولا ليونتسينى Stavroula Leontsini رؤية شاملة جيدة جدًا عن الدعارة البيزنطية كمهنة، حيث سلطت الضوء على كافة الجوانب الاجتماعية والعملية المتعلقة بهذه المهنة كأشكال مزاولة النشاط، والعمر الوظيفى، والنواحى المالية، والضوابط القانونية، والأبعاد المجتمعية، وغيرها من الأمور ذات الصلة بممارسة البغاء فى بيزنطة بخاصة والمجتمعات البيزنطية الباكرة بعامة(٢).

وفى دراسته "بيوت الدعارة والحمامات والفاتنات: البغاء فى الأرض المقدسة فى العصر البيزنطى"، تعرض كلودين دوفين Claudine Dauphin أيضًا لمسألة انتشار أوكار الرذيلة فى المدن البيزنطية، بحيث أوضح أن الموانئ المتصلة بخطوط التجارة الملاحية الدولية كالإسكندرية وبيروت، وكذا مدينة بيت المقدس العاصمة المسيحية العالمية، قد أتاحت بشكل متواصل للعاهرات وأصحاب الحانات بها خليطًا كوزموبوليتانيًا من الزبائن تنوع بين سكان ومسافرين وحجاج .. وعلق دوفين على ممارسة الدعارة حتى على أرض فلسطين المقدسة إبان العصر البيزنطى بقوله: "إن الأرض المقدسة – وتحديدًا مدينة بيت المقدس ذات القداسة ووجهة رحلات الحج فى صميم قلب المسيحية – كانت ملأى بـ «أوكار الشهوة»، بل وفيها تعقبت العاهرات الرهبان فى كهوفهم المنعزلة بجوار نهر الأردن"(٣).

ومن خلال دراسة دوفين الآنف ذكرها ودراسة هارى ماجولياس Harry Magoulias "الحمَّام والنُزُل والحانة والبغاء والمسرح من واقع سِيَر القديسين

فى القرنين السادس والسابع الميلاديين"[٤] تتجلى بكل بوضوح العلاقة القوية بين انتشار ممارسة البغاء فى المدن البيزنطية الكبيرة واحتواء تلك المدن على أماكن متعددة للغواية، فبخلاف المقاطعات والشوارع الحمراء وبيوت الدعارة، كانت الحمامات العامة واستراحات المسافرين والحانات والمسارح أماكن مناسبة أيضًا لالتقاء راغبى المتعة الجنسية بمن قدمن أجسادهن مقابل المال، وهو ما ركزت عليه مؤخرًا جانيت ليندبلوم Jeanette Lindblom خلال حديثها عن أماكن ممارسة البغاء، منوهة بدايةً إلى انتشار هذه الأماكن فى بيزنطة وغيرها من المدن والمراكز الحضرية الكبيرة كالإسكندرية وأنطاكية وكورنثة وسالونيك ... إلخ، وكذا فى المراكز الحضرية الأصغر كالموانئ الفرعية ومفارق الطرق والنواحى القريبة من مراكز الحج كأسوس وسيكيون بآسيا الصغرى، والرها بشرق الفرات، وحمص ببلاد الشام، وإيجية وطرسوس بقيليقية، وبيت المقدس وأريحا على أرض فلسطين ... وهلم جرا، حيث استعرضت ليندبلوم سلوك العاهرات فى الأماكن العامة ووضعهن فى المجتمع من حولهن فى سياق أطروحتها عن النساء والأماكن العامة فى المجتمعات الحضرية البيزنطية فى الفترة ما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين[٥].

على أن المداخلة التى يمكن أن تقدمها الدراسة الراهنة فى تناول موضوع البغاء تتلخص فى محاولة تسليط الضوء بشكل محدد على الفقر كدافع أساسى لاستمرار البغاء كموروث قديم فى الإمبراطورية البيزنطية ذات الهوية المسيحية منذ عصرها الباكر كما هو معروف. ذلك أن الفقر كان هو الحافز الرئيسى الذى حدا بأسر معدمة لبيع فتياتها كسلعة بثمن بخس والزج بهن فى طريق العهر بغية توفير لقمة العيش، كما كان الفقر دافعًا كذلك لبعض النسوة لبيع أجسادهن واتخاذ البغاء وسيلة للكسب، بعدما افتقدن وجود معيل يتولى الانفاق عليهن وضاقت بهن فرص الحصول على مصدر شريف للكسب يقيهن العوز والحرمان. هذا وستحاول الدراسة الراهنة أيضًا النظر فى موقف الدولة وأهل الخير والإحسان خلال العصر الباكر من مثل أولئك البغايا اللواتى أُكرهن

على البغاء بسبب فقرهن وشدة احتياجهن، وذلك اعتمادًا على مجموعة متنوعة من المصادر التاريخية والدراسات الحديثة التى تكشف الكثير عن البغاء وأحواله فى أرجاء مختلفة من العالم البيزنطى.

ولعل أفضل ما يمكن البدء به هو الوقوف على بعض الحقائق المتعلقة بالموروث القديم للبغاء فى الإمبراطورية البيزنطية، ففى البداية يبدو جليًّا أن هذا الموروث قد استمد جذوره من الثالوث التقليدى الذى أُقيمت على أساسه العلاقات الجنسية بين الرجال والنساء داخل المجتمعات اليونانية–الرومانية القديمة، وهو الثالوث الذى قام على أن يعتمد كل رجل فى حياته الجنسية على مباشرة ثلاثة صنوف من النساء: العاهرة والمحظية والزوجة، وهو ما عبر عنه أبوللودوروس Apollodorus – السياسى والخطيب الأثينى الشهير فى القرن الرابع قبل الميلاد – فى خطبته "ضد نيايرا Neaera" التى نقلها عنه رجل الدولة والخطيب الأثينى البارز ديموستينيس Demosthenes؛ وجاء فيها ما نصه: *لدينا العاهرات (hetairai)*[٦] *للمتعة، والمحظيات (pallakai)*[٧] *للعناية اليومية بأجسامنا، والزوجات (gunaikes) لينجبن لنا الذرية الشرعية*[٨].

وبغض النظر عن غرابة هذا النسق الاجتماعى اليونانى الذى تقبل بكل أريحية وجود شريكة جنسية أخرى للرجل خلاف زوجته الشرعية، سواء أكانت هذه الشريكة عاهرة أم محظية، فإن الشىء الذى لا بد أن يؤخذ فى الاعتبار هنا أن النسق ذاته قد انطوى على إباحة البغاء بأن اعتمد فى أحد مقوماته الثلاثة على استخدام العاهرات كوسيلة للمتعة فى المجتمعات اليونانية القديمة[٩]. والشىء المؤكد أن الثالوث التقليدى نفسه (العاهرة والمحظية والزوجة) الذى أُقيمت على أساسه العلاقات الجنسية بين الرجال والنساء فى المجتمعات اليونانية القديمة قد استمر دون عوائق فى المجتمعات الرومانية التى ورثت عن سالفتها اليونانية إباحة البغاء ومعاشرة المحظيات مع الالتزام القانونى باقتران الرجل بزوجة شرعية واحدة[١٠].

ولقد كانت الدعارة واسعة الانتشار فى روما القديمة، حيث شكل البغاء

عصبًا حيويًّا مهمًّا فى جوانب الاقتصاد المتعلقة باستثمارات الطبقة العليا وعائدات الدولة وتوظيف الإناث. وترجع الغالبية العظمى من الشواهد القانونية والأدبية والوثائقية والأثرية ذات الصلة بالبغاء فى العصر الرومانى للفترة الطويلة الممتدة تقريبًا بين عامى (٢٠٠ ق.م – ٢٥٠م). وإذا كان أكثر الشواهد القانونية والأدبية يخص مدينة روما، فإن بعضًا من الشواهد الوثائقية المهمة جدًا كالنقوش يأتى من أنحاء أخرى فى الإمبراطورية الرومانية، وتزخر مدينة بومبى بأكبر كم عُثر عليه من البقايا المادية. ولا ريب قد كانت الدعارة تجارة مربحة فى العالم الرومانى، إذ حققت للمستثمرين بها عائدات ضخمة تفوق كثيرًا تكاليف متطلباتها من عقارات مشتراة أو مؤجرة داخل المناطق الحضرية كأماكن لمزاولة النشاط ومبالغ مدفوعة عند الحاجة ثمنًا لشراء جوارى لأجل تشغيلهن كعاهرات. ومن الناحية التشريعية فقد اهتم القانون الرومانى منذ عهد الإمبراطور أغسطس Augustus (٢٧ ق.م – ١٤م) بتنظيم وضع العاملين فى البغاء من حيث علاقتهم بالمجتمع، فكان إصدار اثنين من القوانين فى عامى ١٨ ق.م و٩م حرما الزواج بين الرومان المولودين أحرارًا وبين عدد من الفئات المحتقرة اجتماعيًّا ومنها المشتغلون بالعهر والقوادة. وفى عهد لاحق مرر مجلس السناتو فى عام ١٩م فقرة أخرى من التشريع حرمت ممارسة الدعارة على أعضاء السناتو من طبقتى الشيوخ والفرسان على السواء لكونهم يمثلون أعلى مراتب المجتمع الرومانى. وابتداءً من عهد الإمبرطور كاليجولا Caligula (٣٧ – ٤١م) فُرضت على العاهرات منذ عام ٤٠م ضريبة البغاء *pornikon telos* (Prostitution Tax) بهدف رفع عائدات الدولة الرومانية لأكبر حد ممكن، وهو الهدف الذى تحقق بالفعل، إذ ظل البغاء يوفر للخزانة العامة أرباحًا مستمرة على مدى تاريخ الإمبراطورية(١١).

ولعل توماس مجين Thomas McGinn قد أصاب كبد الحقيقة، عندما علق على مسألة استفادة الإمبراطورية اقتصاديًّا من الضرائب المجبية على البغاء بقوله: "لم تستطع الدولة ممانعة العائدات الضخمة الناتجة عن

تجارة الهوى، فمنذ أن حُصلت ضريبة على هذا النشاط ابتداءً من عهد كاليجولا، والأرباح المحققة كانت تفوق بكثير المستويات المتوقعة للعائدات. ومع الوقت غدت ضريبة البغاء ضرورية للغاية إلى الحد الذى تعذر معه على الأباطرة المسيحيين فى العصر البيزنطى الباكر الاستغناء عنها"(١٢).

وعلى هذا الوضع انتقل الموروث الاجتماعى اليونانى–الرومانى القديم إلى الإمبراطورية البيزنطية، ولكن مع الوقت فقد هذا الموروث عنصرًا من عناصره الثلاثة منذ نهايات القرن السابع الميلادى بموجب القوانين الكنسية التى حاربت اتخاذ المحظيات وحرمت اقتران الرجل الواحد بأكثر من امرأة(١٣). ومن ثم لم يبق من بعدها سوى الزواج والعهر كسبيلين غالبًا ما انحصرت فيهما الممارسات الجنسية بين الرجال والنساء فى العالم البيزنطى(١٤). ولكن إذا كانت الحقيقة هى استمرار البغاء كموروث قديم فى الإمبراطورية البيزنطية، وقد عوَّل مجين — ولا جدال معه فى ذلك — على استفادة الدولة اقتصاديًّا بتحصيل ضريبة على البغاء كدافع لاستمرار ممارسات الدعارة خلال عهود الأباطرة المسيحيين فى العصر الباكر كما جاء بعاليه، فإنه لا ريب أيضًا من أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية للنسوة اللاتى امتهن البغاء قد لعبت دورًا أساسيًّا فى اتخاذ البغاء سبيلًا لكسب العيش فى دولة غدت المسيحية ديانتها الرسمية منذ نهايات القرن الرابع الميلادى(١٥)، ومعروف بالطبع موقف المسيحية المحرم للزنا والمحارب لكافة أشكال الفحش والفجور، فالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يزخر بعدد كبير جدًا من آيات التحريم، ومنها مثلًا: *وَالَّذِي يُخَالِطُ الزَّوَانِي يَزْدَادُ وَقَاحَةً. السُّوسُ وَالدُّودُ يَرِثَانِهِ، وَالنَّفْسُ الْوَقِحَةُ تُسْتَأْصَلُ* (سفر يشوع بن سيراخ ١٩: ٣). ومنها أيضًا: *اُهْرُبُوا مِنَ الزِّنَا. كُلُّ خَطِيَّةٍ يَفْعَلُهَا الإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ عَنِ الْجَسَدِ، لكِنَّ الَّذِي يَزْنِي يُخْطِئُ إِلَى جَسَدِهِ. أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ* (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٦: ١٨–٢٠)(١٦).

غير أن واقع الحال يقتضى التمييز بين فئتين من النساء، إحداهما لجأت إلى البغاء مضطرة تحت ضغط ظروف اجتماعية واقتصادية عصيبة وانعدام البدائل المتاحة أمامها لكسب شريف(١٧)، وأخرى اختارت البغاء بمحض إرادتها منجرفةً وراء رغباتها الجامحة ساعيةً لإشباع شهواتها المنحرفة. وفى الحقيقة فإن المطالع للكثير من مصادر العصر البيزنطى الباكر على اختلافها، إنما يلاحظ تكرار الإشارة بصورة أو بأخرى للفقر كدافع لممارسة النسوة للبغاء نجاة من البؤس والحرمان، بل وكان الفقر دافعًا فى بعض الأحيان لبيع الأسر المعدمة لأبنائها وبناتها من فرط العوز والإملاق، ويتأكد ذلك بدايةً من واقع القانون الذى أصدره الإمبراطور قسطنطين فى الثامن عشر من أغسطس عام ٣٢٩م، وأجاز بموجبه إمكانية بيع الأبوين لأبنائهم وبناتهم حديثى الولادة فى حالة الفقر المدقع، مع احتفاظهما بالحق فى استردادهم مرة أخرى بثمن مماثل أو ببديل مساو(١٨).

وكذلك يتأكد بوضوح اضطرار بعض الأسر المحتاجة لتشغيل بناتها فى البغاء بسبب الفقر من واقع وثيقة بردية سجلت وقائع مثيرة لمحاكمة جنائية جرت فى مصر فى النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى، وحوكم فيها سكندرى يُدعى ديوديموس Diodemos كان عضوًا من أعضاء مجلس المدينة وتيمته عاهرة شعبية استمتع برفقتها واعتاد أن يقضى معها ساعات المساء بصورة منتظمة، ولكن لدوافع غير معلومة قام بقتلها، فعاجلت السلطة القضائية، برئاسة زيفريوس Zyphrios الذى كان على ما يبدو يشغل منصب البرايفكتوس *Praefectus* (الوالى) وقتذاك، بإصدار أمر بالقبض على ديوديموس وإيداعه السجن تمهيدًا لمحاكمته. غير أنه فى صباح اليوم التالى للتحفظ على المتهم اعترض على هذا الأمر زملاؤه من أعضاء مجلس المدينة فى اجتماعهم الخاص بالوالى زيفريوس وهم يقدمون له تحيتهم الرسمية كالمعتاد، والتمسوا منه إطلاق سراح زميلهم السناتور وإبطال أمر محاكمته. وعلى الرغم من أن زيفريوس قد رأى أن التماس أعضاء مجلس المدينة غير

منطقى، فإنه وافق مبدئيًّا على إخلاء سبيل ديوديموس. والشىء الواضح أن تلك كانت مراوغة من زيفريوس أراد بها نزع فتيل الأزمة وتهدئة الموقف المشتعل فى العاصمة المصرية صاحبة الشهرة المعروفة بسرعة اندلاع أعمال الشغب فيها لأبسط الأسباب، ومن ناحية أخرى أراد زيفريوس أيضًا أن يكسب بعض الوقت ليتخذ بحنكة قراره الأكثر حذرًا فى قضية قد اتخذت أبعادًا سياسية شائكة. وبالفعل لم يمض كبير وقت حتى نكث زيفريوس وعده الذى كان قد قطعه لأعضاء مجلس المدينة وصمم على استمرار اعتقال ديوديموس لحين محاكمته، متعللًا بما وجده من اعتراض شديد على قرار الإفراج عن ديوديموس من قبل بقية سكان المدينة من السكندريين وغير السكندريين على السواء، فضلًا عن اعتراض سكان الأقاليم الأخرى بالولاية بعدما نما لعلمهم وجود نية لعدم محاكمة ديوديموس على جريمته. فما كان من أعضاء مجلس المدينة إلا أن امتثلوا لقرار زيفريوس الأخير مناشدين إياه ترتيب محاكمة عادلة لديوديموس. وعندما جاء يوم المحاكمة أُحضر السجين من محبسه إلى جلسة المحاكمة واعترف من فوره بارتكابه جريمة القتل. وعندها تقدمت عجوز شمطاء بائسة تُدعى ثيودورا Theodora، وقد تبين للحاضرين أنها والدة القتيلة، والتمست أن يُلزم القاتل ديوديموس بنفقتها. وفى مضبطة الجلسة أُثبت حضور ثيودورا والتماسها، وعندما سُمح لها بالكلام تفوهت بما نصه: "لهذا السبب سلمت ابنتى للقواد ليصبح عندى قوت يومى. وبما أننى قد حُرمت بوفاة ابنتى من مصدر عيشى، فإننى التمس أن تُخصص لى نفقة متواضعة تكفى لإعاشة امرأة بسيطة مثلى". وفى نهاية الجلسة جاء نص منطوق الحكم الصادر عن الوالى على النحو التالى:- "بالرغم من أن المجنى عليها قد عاشت حياة مخزية، فإنها تعد مدعاة للشفقة لكونها وهى حية قد باعت جسدها لزبائنها وكأنها جثة، وكان دافعها إلى هذا هو فقرها. أما ديوديموس فعلى الجانب الآخر قد أخل بشرف مجلس الشيوخ الذى ينتمى إليه، وبناء على هذا سيُعاقَب بإعدامه بالسيف جزاء ارتكابه جريمة القتل. وأما ثيودورا البائسة أم المجنى

عليها، التى أوجب عليها الفقر أن تجرد ابنتها من عفتها وبالتبعية فقدت ابنتها إلى الأبد، فسوف ترث عُشْر أملاك ديوديموس. ذلك هو ما تمليه القوانين[١٩] وما تحتمه الرحمة المتوائمة مع سلطة القانون"[٢٠].

كما يتضح من الشاهد السابق ؛ كان الفقر المدقع هو الدافع الذى حدا بثيودورا والدة عاهرة الإسكندرية لأن تقتات من لحم ابنتها بعدما أولت عليها قوادًا شغَّلَها فى البغاء، حتى صادفت الابنة الشقية مصيرها المشؤوم ولقيت مصرعها على يد زبون رفيع المقام استعبده الهوى. ويتخذ نافتالى لويس Naphtali Lewis من هذه الوثيقة البردية برهانًا على أن امتهان النسوة للبغاء فى مصر إبان العصر الرومانى وبعده لم يكن إلا بدافع الفقر، عندما يصرح بدايةً بقوله: "إنه من المعروف أن المرأة لا تدخل فى مجال البغاء إلا إذا كان لديها ظروف قاهرة ساقتها إلى هذا النوع من الحياة. وقد سُجلت حادثة من القرن الرابع الميلادى تعطينا صورة واضحة عن هذا الموضوع، وهى تمثل ما كان يحدث فى كل العصور ... " ، وهنا يعرض لويس جانبًا من وقائع محاكمة ديوديموس، حيث يسلط الضوء على شخصية "ثيودورا – المرأة الضعيفة والدة العاهرة – " ومطالبتها بأن يحدد لها ديوديموس مصدرًا للدخل تعيش عليه بعدما فقدت ابنتها التى ما كانت من الأساس لتعطيها لقواد يشغلها فى البغاء إلا ليكون لديها مصدر للرزق تتعيش منه"[٢١]. هذا فى حين يعلق باجنال على الوثيقة نفسها بقوله: "على الرغم من الغموض الذى يكتنف جميع النصوص الواردة بهذه الوثيقة، فإنها على أى حال تصور لنا مجتمعًا سكندريًّا متحررًا وُجدت به على الأرجح علاقات جنسية توافقية، فضلًا عن الدعارة، ... ولم يهب الجمهور إلا بدافع السخط على جريمة قتل بشعة راحت ضحيتها فتاة مسكينة أُكرهت على البغاء بسبب ما رُزئت به أمها من فقر مدقع"[٢٢].

بيد أنه إحقاقًا للحق ينبغى التذكير بما سبقت الإشارة إليه من أنه لم تكن كل العاهرات مكرهات على البغاء بدافع الفقر، فيبدو أن بعضهن كن شهوانيات بطبعهن وانجرفن فى هذا السبيل بدافع من شهوتهن التى لا تنطفىء،

ولعل من أشهر نماذج ذلك الصنف من النساء فى العالم البيزنطى خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين القديسة مريم المصرية St. Mary of Egypt والقديسة بيلاجيا الأنطاكية St. Pelagia of Antioch. فأما بالنسبة لمريم المصرية فقد عاشت حياة فاسقة بمحض إرادتها قبل أن تتوب وتعتزل الحياة الدنيا لتصبح قديسة ناسكة بفلسطين، وعلى الرغم من أنها كانت فقيرة، فإن فقرها لم يكن هو دافعها لما انغمست فيه من عهر وفجور، وذلك وفقًا لما سجله كاتب سيرتها من اعترافات أدلت بها هى نفسها لراهب يُدعى زوسيماس Zosimas التقته مصادفة فى أخريات حياتها فى برية موحشة بفلسطين فروت عليه قصتها، مستهلة روايتها بما نصه: *إن وطنى يا أخى العزيز هو مصر، وعندما كان والداى على قيد الحياة، وكان عمرى وقتها اثنتى عشرة سنة، تخليت عن حبى لهما ورحلت عنهما إلى الإسكندرية. أشعر بالخزى كلما أفكر فى أول مرة أتلفت فيها عذريتى، وكيف أننى بعدها قد أسلمت نفسى تمامًا وبلا شبع لشهوة الجماع الجنسى. ولكننى أشعر الآن أنه يجدر بى أن أتكلم بصراحة عما سأصفه بإيجاز، حتى تصبح على علم بمدى ما كنت عليه من شهوانية وحب للملذات. لأكثر من سبعة عشر عامًا — أرجوك أن تسامحنى على ذلك — كنت محطًا لإغواء علنى غايته الاستمالة إلى الفاحشة، بدون تقاضى أى أجر على الإطلاق، أقسم على ذلك، إذ أننى لم أقبل شيئًا، بالرغم من أن الرجال كثيرًا ما رغبوا أن يدفعوا لى، غير أننى ببساطة قد ابتدعت ذلك حتى يتسنى لى إغواء المزيد والمزيد من الرجال، وهكذا أحَلْت شهوتى إلى هدية مجانية. ولا يجب عليك أن تتصور أننى لم أكن أقبل أجرًا لأننى كنت غنية، بل على العكس، فقد كنت أعيش على الشحاذة، وغالبًا ما كنت أرتزق كذلك من غزل الأنسجة الكتانية الخشنة. الحقيقة هى إننى كان عندى شغف لا يرتوى وشهوة لا يمكن السيطرة عليها دفعانى للتمرغ فى النجاسة*[٢٣].

وأما بالنسبة لبيلاجيا الأنطاكية فوفقًا لما جاء فى سيرتها يُعرف أنها قد عاشت هى الأخرى بإرادتها حياة فاسقة فى أنطاكية كممثلة استعراضية وعاهرة

يستهويها اقتناص الرجال ليمارسوا الفحشاء معها ويقدموا الغالى والنفيس عند قدميها مستغلة جمالها الفتان، ثم تابت ونالت سر العماد وتحولت بعد ذلك إلى الحياة النسكية على جبل الزيتون بفلسطين، وهجرت بعزلتها عن الحياة الدنيا حياة الخطيئة التى كانت تعيشها، متخلية عن ماضيها المهنى كغانية مشهورة، ومستغنية عن كل ما كانت تملك من مال وحلى، بل ومتجردة كذلك من جنسها كإمرأة فقد عاشت حياتها النسكية بعد التوبة لزهاء أربعة أعوام متنكرة فى هيئة راهب خصى، ولم يكتشف أحد أنها أنثى إلا بعدما وافتها المنية[٢٤].

وهكذا ؛ إن صح ما جاء فى هذه السِيَر يكون هناك فئة من النساء لم يكن الفقر هو دافعها للبغاء، وإنما كان دافعها هو ما يُعرف علميًّا الآن بحالة الشبق أو النهم الجنسى *Nymphomania* التى تسبب للنسوة عادةً رغبة جنسية زائدة عن الحد الطبيعى وتجعلهن يسعين إلى إشباع غرائزهن وإرضاء رغباتهن الجامحة باستمالة الجنس الآخر بكل الطرق لإقامة علاقة جنسية معهن، وغالبًا ما تكون النسوة من هذا الصنف فخورات بكثرة الشركاء متباهيات بكثافة المعجبين اعتقادًا منهن أن هذه المظاهر تعكس مقدار ما يتحلين به من جمال فتان وإثارة. ولكن ليندبلوم تقدم ملاحظة وجيهة يشجعها الباحث إزاء ما يرد فى مثل هذه السِيَر، عندما تقول: "تشير الكتابات الهجيوجرافية إلى الشهوة البحتة كدافع لممارسة المرأة للبغاء، بيد أن هذه النصوص لها أهداف تربوية وأخلاقية، ومن ثم فإن لها مبررها فى تسليط الضوء على مثل هذه الدوافع بدلًا من العوامل الاجتماعية"[٢٥].

وحقًا فإن المطالع للكتابات الدينية بصفة عامة لا بد له أن يستشعر مثل هذه النبرة الوعظية حيال ممارسات العهر على اختلافها، وهى نبرة لا تلتفت بطبيعتها إلى الدوافع وراء ارتكاب الأفعال الأثيمة بقدر ما تركز على الحث على الابتعاد عن هذه الأفعال مهما كانت الدوافع[٢٦]، ويتجلى ذلك بكل وضوح فى عظات بطريرك القسطنطينية الشهير يوحنا ذهبى الفم John Chrysostom (٣٩٨ – ٤٠٤م)، الملقب أيضًا بواعظ المسكونة الأول. ففى

عظته السابعة والستين على إنجيل متى راح ذهبى الفم يحض على التوبة عن ارتكاب الآثام والفواحش، وضرب مثلًا للموعوظين عاهرة كانت قد تجاوزت كل الحدود فى الفسق والفجور، ثم ما لبثت بعد توبتها النصوح أن فاقت الجميع فى التقى والورع، موضحًا فى البداية أنه لا يقصد بحديثه هذا العاهرة القديمة المعروفة المذكورة فى الأناجيل (مريم المجدلية)، ولكنه يقصد هذه الممثلة الاستعراضية المشهورة فى زمنه التى برعت فى فنها على المسرح وذاع صيتها فى كل مكان، واستخدمت جمالها الأخاذ لتوقع فى شراكها أعدادًا كبيرة ممن أغوتهم ليرتكبوا معها الفحشاء ويصبحوا طوع أمرها بعد أن تيمتهم بعهرها وأفاعيلها الخبيثة. ولكنها ندمت بعد حين وتابت وأخلصت فى توبتها إلى حد أنها اعتزلت الحياة الدنيا ولبست الخيش وعاشت لفترة حياة نسكية طاهرة جسدت خلالها أروع آيات الزهد حتى صعدت إلى السماء بنفس نقية، متبرأة من ماضيها، نابذة ما قدمته من فن خليع، محتقرة ما انغمست فيه من رذائل وشرور[٢٧]. ولعل يوحنا ذهبى الفم كان يقصد بحديثه هذا القديسة بيلاجيا الأنطاكية التى سبق الحديث عنها فيما أعلاه، وإن لم يفصح البطريرك الواعظ عن اسم التائبة[٢٨].

وفى عظته السابعة والثلاثين على إنجيل يوحنا قال ذهبى الفم: *قد يتعلل الزانى بشهوته، والسارق بفقره، والقاتل بحميته، وكلها أعذار تافهة وغير معقولة، ومع ذلك لا يزالون يتذرعون بهذه الادعاءات، ولكن ما هو السبب ؟ أخبرنى، هلا سميته لى، ليس أيًا من تلك المبررات على الإطلاق، وإنما هو الشر المستحكم لا غيره*[٢٩].

أما فى عظته الرابعة والعشرين على رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية فقد أفاض ذهبى الفم فى الهجوم على العهر معتمدًا إشباع الشهوات دافعًا وحيدًا لهذا العهر، غير منوه لأى دوافع أخرى قد تؤدى إليه، فكان من بين ما جاء فى هذه العظة: *لا تصنعوا تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات: فكما أنه لم يُمنع شرب الخمر، بل مُنع السكر، ولم يُمنع الزواج، بل مُنع الفجور، هكذا*

لم يُحرم الاعتناء بالجسد، بل أنه قد حُزر من إشباع شهوات الجسد، أى الشعور بالاحتياج المبالغ فيه ... وأنا لا أنصح الأغنياء فقط بهذه الأمور، بل الفقراء أيضًا، وبخاصة أولئك الذين يحتشدون لموائد اللهو ... خاصةً وأن الرغبات الشريرة تتولد من هذه الموائد ومنها يأتى الفجور، ومن هنا تُحتقر نساؤكم، بينما تُكرَّم العاهرات، من هنا يأتى انحلال أو تفكك العائلات، وتأتى شرور لا حصر لها، وتعم الفوضى كل شىء، وبعدما تركتم النبع النقى، ركضتم إلى مجرى الوحل ... لا سيما وأن العاهرة أنت لا تتركها تبقى عاهرة فقط، بل إنك تجعلها قاتلة أيضًا (يقصد بإجهاضها لحملها). *أرأيت، كيف أن العهر يأتى من السكر، والزنا يأتى من العهر والقتل من الزنا ؟ ... كما أنك لا ترفض أن هذه المرأة مبهجة ومرغوبًا فيها لدى العشاق، وتجمع أموالًا أكثر، فتجمع بسبب هذا نارًا حارقة فوق رأسك، لأنه على الرغم من أن الإباحية تُنسب لها، لكن السبب يرجع إليك ... إن الذى يعيش في الشهوات يشبه من يظل عطشانًا حتى إذا وجدت بالقرب منه آبار مياه لا حصر لها، طالما أنه لا يستطيع أن يطفئ شهوته. أما إذا تدرب الجسد على الحرمان، فلن تشغله مطلقًا هذه الشهوات ...*(٣٠).

وإذا كان لمثل هذه السِيَر والعظات أهداف تربوية وأخلاقية ربما تصلح لهداية النسوة اللاتى كان الشبق هو دافعهن للانحراف وامتهان البغاء، أو حتى لهداية زبائنهن من الرجال الذين كانوا يستجيبون لاغوائهن بدافع من شهوة لم توضع فى مكانها السليم، فإن الشىء الملاحظ أن الموقف كان مختلفًا تمامًا مع حالة النسوة اللاتى أُكرهن على البغاء بدافع من فقرهن وظروفهن الاجتماعية والاقتصادية الصعبة، إذ لم تكن نبرة الوعظ والإرشاد صالحة فى هذه الحالة، بل حلت محلها نبرة من الشفقة والاستياء لحالهن مقترنة بالتدابير والاجراءات المتخذة لمحاولة انتشالهن من هذا الوحل الذى سقطن فيه بسبب العوز والحرمان. ولعل هذه النبرة قد ظهرت فيما سبق عرضه من شاهد وثائقى على قتيلة الإسكندرية التى كان الفقر دافعها للبغاء، وما كان من موقف

القضاء المتعاطف معها والمقتص من قاتلها بأقصى درجات العقوبة والمعوض لأمها الفقيرة عن مصابها الأليم. وتتكرر النبرة ذاتها فى غير ذلك من مصادر العصر البيزنطى الباكر على اختلافها، حيث استمرت الحاجة دافعًا لأن تسلك بعض الأسر النهج ذاته بإكراه فتياتها على البغاء، حرائر كن أو إماء، أو بإعطائهن للقوادين ليتولوا تشغيلهن فى الدعارة بغية توفير مورد للعيش، وهو ما كان باعثًا للقانون الذى أصدره الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى Theodosius II (٤٠٨ – ٤٥٠م) فى الحادى والعشرين من أبريل عام ٤٢٨م، ونص على عتق الإماء من العبودية وتحرير البنات من سلطة الأبوين الشرعية عليهن، إذا أُكرهن على البغاء وكل ساقط خسيس من الأعمال من قبل أسيادهن أو سيداتهن أو آبائهن، وهو ما يعنى ضمنًا حرمان صاحب السيادة من عائد عمل من كانت تحت سيادته إن استغلها فى ممارسة البغاء أو غيره من ألوان الفحش. كما نص القانون ذاته على تحرير جميع الفتيات اللواتى بدافع الفقر قد أجَّرن أنفسهن لقوادين معلنين ليشغلوهن فى الدعارة، إذا رغبن فى إنهاء هذا الارتباط الشائن وأردن اعتزال العمل والتحول إلى حياة محتشمة. ومن لم يذعن من القوادين لهذا التشريع القانونى وظل على تصميمه محتجزًا عاهرات لديه ضد إرادتهن، كان مدانًا ويُعاقَب بالنفى إلى المناجم(٣١).

وبعد ذلك بقرن من الزمان ؛ أيضًا كانت الرأفة بحال العاهرات المكرهات على البغاء بدافع فقرهن سببًا وراء سلسلة الإجراءات التى اتخذتها ثيودورا والقوانين التى أصدرها زوجها الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧ – ٥٦٥م) فيما يخص العهر والقوادة بعامة، ففى عام ٥٢٨م أقدمت ثيودورا أولًا على إصدار أمر بإغلاق بيوت الدعارة، كما أمرت بأن يُحضر إليها أصحاب وصاحبات هذه المواخير والقوادون والقوادات، فضلًا عن البغايا لأجل أن تفتديهن وتحررهن. وعن هذه الإجراءات سجل مؤرخ القرن السادس الميلادى يوحنا مالالاس John Malalas بحوليته التاريخية المعروفة ما نصه: *فى هذا الوقت أضافت ثيودورا لأعمالها التقية ما يلى:– فيما يتعلق*

بأولئك الذين عُرفوا كأصحاب (أو صاحبات) لبيوت الدعارة فإنهم قد اعتادوا أن يتجولوا فى كل المناطق بحثًا عن الفقراء الذين لديهم بنات، ويقال أنهم كانوا يعاهدونهم بحلف يمين ويعطونهم بعض النوميزمات Nomismata (العملات الذهبية) القليلة، وفى المقابل اعتادوا أن يأخذوا منهم البنات بموجب عقد مبرم فى الغالب، ويحيلون البنات إلى عاهرات شعبيات، ملبسين إياهن ما تطلبه مصيرهن البائس، ومتسلمين منهن الثمن الغث لأجسادهن، فلقد كانوا يكرهونهن على البغاء. لهذا أمرت (ثيودورا) بأن يُلقى القبض على وجه السرعة على جميع أصحاب (وصاحبات) بيوت الدعارة. وعندما أُحضروا أمامها ومعهم الفتيات، أمرت كلا منهم أن يعلن مقسمًا اليمين ما قد أعطاه بالضبط لآباء الفتيات، فقالوا أنهم قد أعطوا خمسة نوميزمات لأبوى كل فتاة. وبعد أن أقسم جميعهم اليمين على ما أدلوا به من معلومات، أعادت إليهم الإمبراطورة التقية ما كانوا قد دفعوه من أموال وحررت الفتيات من نير عبوديتهن الدنيئة، وأمرت بأنه من الآن فصاعدًا لا ينبغى أن يوجد أى أصحاب (أو صاحبات) بيوت للدعارة. وفوق ذلك فقد قدمت للفتيات حفنة من الملابس وأخلت سبيلهن بعدما أعطت نوميزما لكل واحدة منهن(٣٢).

وهكذا ؛ كشف مالالاس كيف كانت تستُغل حاجة الأسر الفقيرة من قبل أصحاب وصاحبات بيوت الدعارة وسماسرة الفاحشة الذين كانوا يجوبون البلاد طولًا وعرضًا ليشتروا الفتيات الفقيرات من أسرهم بقليل من المال بقصد تشغيلهن فى الدعارة، ومن الواضح أن أولئك الفتيات البائسات لم يجنين شيئًا من حياة الخزى التى عشنها كرهًا سوى بعض الملابس الخليعة التى أُعطين إياها كلوازم ضرورية للعمل، فى حين كان العائد من بيع أجسادهن يذهب بكامله لمشغليهن ومشغلاتهن من أصحاب وصاحبات المواخير والقوادين والقوادات. ولما وجدت ثيودورا أن الفقر كان هو الدافع لانزلاق الكثير من فتيات الليل إلى مستنقع الفساد والعهر من الأساس، عملت أولًا على تجفيف منابع الفسق والفجور بإغلاق بيوت الدعارة، ثم ردت لأصحاب هذه البيوت

وصاحباتها وأعوانهم من القوادين والقوادات ما كانوا قد دفعوه من أموال لأهل كل فتاة، لأجل أن تخلص هؤلاء الفتيات من قبضة جلاديهن، وإمعانًا فى الإشفاق عليهن والرأفة بهن لم تخل ثيودورا سبيل أى منهن إلا بعدما صرفت لها بعض الكسوة والمال. وفى دراسته عن ثيودورا يعلق كلايف فوس Clive Foss على هذه الإجراءات بقوله: "اعتزمت ثيودورا القضاء على العهر فى العاصمة ... وكانت كل هذه الإجراءات التى اتخذتها جزءًا من برنامج إمبراطورى غايته تطهير المدينة من الرذيلة"(٣٣).

ولا عجب أن انتهجت ثيودورا ذاك النهج مع أصحاب وصاحبات بيوت الدعارة والقوادين والقوادات والعاهرات، فهى نفسها الممثلة الاستعراضية ذائعة الصيت سابقًا، التى كانت صاحبة ماضى مؤلم قاست خلاله ظروفًا اجتماعية مضطربة دفعتها لتسقط فى وحل من البغاء والفحش والفسوق بمختلف صوره، قبل أن يفتتن بها جستنيان ويتزوجها لتصبح من بعد الإمبراطورة التقية الورعة المبجلة، وهو الماضى الذى سجله بحذافيره مؤرخ عصر جستنيان بروكوبيوس القيصرى Procopius of Caesarea فى مصنفه الشهير المسمى "التاريخ السرى"(٣٤).

وربما لا يفيد السياق الراهن فى كثير أو قليل الخوض فى الحديث على وجه التفصيل فيما أسهب بروكوبيوس فى إيراده، منصفًا كان أم مبالغًا، عما انغمست فيه ثيودورا من عهر، بقدر ما يفيد لفت الانتباه إلى تكرار إشارة بروكوبيوس نفسه بشكل غير مباشر عن غير قصد للظروف الاجتماعية والاقتصادية المضطربة التى حدت بثيودورا إلى أن تحيا مثل هذه الحياة المخزية قبل زواجها من جستنيان، فمن ذلك مثلًا ما جاء فى مطلع حديثه الهجائى اللاذع عنها من تعريف بأصلها وتربيتها، حيث ذكر أن أباها كان يُدعى أكاكيوس Akakios، وكان يعمل حارسًا لحيوانات السيرك فى بيزنطة ويحمل لقب «حارس الدببة»، وقد مات أكاكيوس نتيجة مرض خلال فترة حكم الإمبراطور أنستاسيوس الأول Anastasius I (٤٩١ – ٥١٨م)، تاركًا ثلاث

بنات، هن بترتيب السن: كوميتو Komito وثيودورا Theodora وأنستاسيا Anastasia، وكانت كبراهن لم تكمل عامها السابع بعد. وتزوجت أرملة أكاكيوس – أم البنات الثلاث – على أمل أن زوجها الجديد سيقاسمها من الآن فصاعدًا إدارة منزلها والعناية بالحيوانات، ولكن كاد لها ولزوجها الجديد رئيس الراقصين المدعو أستريوس Asterios الذى أخذ رشوة لإزاحة الاثنين من وظائفهما، واستبدل فى مكانهما الشخص الذى أعطاه الرشوة. وبعد فترة من الزمن أصبحت الابنة الكبرى كوميتو واحدة من أشهر العاهرات فى ذلك الوقت، وكانت شقيقتها ثيودورا التى جاءت بعدها فى الترتيب ترتدى قميصًا فضفاضًا ذا أكمام وهو ملبس الخادمات، واعتادت أن تساعد أختها بطرق مختلفة متتبعة إياها فى كل مكان حاملة فوق أكتافها دائمًا المقعد الذى اعتادت أن تجلس عليه كوميتو فى الاجتماعات العامة. وفى هذا الوقت كانت ثيودورا لا تزال غير ناضجة بدرجة تسمح لها أن تكون قادرة على مشاركة رجل فى مخدعه أو ممارسة الجنس كإمرأة، ولكنها كانت تتصرف كعاهرة شاذة لإرضاء الزبائن من أدنى الأنواع بما فيهم الخدم الذين كانوا يصاحبون أسيادهم إلى المسرح وكانوا ينتهزون الفرص لتسلية أنفسهم بهذه الطريقة المنفرة. ولقد ظلت ثيودورا مدة لا بأس بها تبيع جسدها بهذا الشكل اللوطى مكرسة نفسها لهذه التجارة الجسدية غير الطبيعية، وبمجرد أن كبرت واكتمل نموها انضمت إلى النسوة على المسرح، وسريعًا ما أصبحت غانية من الدرجة الدنيا الوضيعة لأنها لم تكن عازفة مزمار أو عازفة قيثارة أو تجيد الغناء وحتى لم تكن مدربة للانضمام إلى جوقة الراقصين، ومن ثم لم يكن أمامها إلا أن تبيع جاذبيتها لأى شخص يأتى إليها طالبًا المتعة واضعة كل جسدها تحت إمرته. وفيما بعد انضمت ثيودورا إلى الممثلين الإيمائيين على المسرح وباتت تلعب دورًا منتظمًا فى عروضهم المسرحية. ومن أشهر الفقرات الفنية الاستعراضية التى اعتادت ثيودورا تقديمها فقرة مثيرة كانت تلقى فيها بملابسها على خشبة المسرح على مرأى من جميع الناس وتقف عارية فى وسطهم لا يغطى عورتها سوى مئزر يلتف حول أردافها

وأعلى فخذيها، إذ إنه لم يكن مسموحًا لأحد أن يظهر عاريًا تمامًا على المسرح، فكان هذا المئزر حول المناطق الحساسة إجباريًا، وبهذا الحد الأدنى من الغطاء كانت ثيودورا تسترخى وترقد على الأرض ووجهها إلى أعلى، وكان بعض الخدم مكلفين بمهمة نثر حبوب الشعير فوق مناطق العورة من جسدها، ليقوم بعض الإوز المدرب لهذا الغرض بالتقاط هذه الحبوب بمنقاره ويبتلعها، فتتعالى بسبب ذلك المشهد الإباحى صيحات جماهير المسرح مدوية وتنهض ثيودورا واقفة مرة أخرى لتحيى جمهورها فى سعادة وسرور(٣٥).

وعلى هذا النحو الذى وصفه بروكوبيوس يمكن القول أن ثيودورا كانت منذ بداية نشأتها ضحية ظروف اجتماعية مضطربة ساقتها إلى حياة العهر والفجور، حيث فقدت والدها صغيرة، وتعثرت والدتها الأرملة فى تأمين حياة أسرية مستقرة بعد وفاة زوجها الأول أبى البنات ثم تخبط زوجها الثانى فى عمله، فامتهنت الابنة الكبرى البغاء وجرت معها إلى الطريق ذاته قدمى أختها الأصغر ثيودورا التى امتهنت البغاء هى الأخرى منذ سن مبكرة للغاية إلى أن وجدت لها مكانًا على المسرح كممثلة استعراضية. ونظرًا لضآلة موهبتها الفنية، لم تجد ثيودورا سبيلًا للاستمرار فى عالم الفن إلا بتعرية جسدها وتقديم العروض الفنية المبتذلة على المسرح، وفوق ذلك كانت طوع أمر من يطلبونها للجنس فرادى وجماعات حالها كحال باقى الممثلات فى عصرها، إذ ارتبط عمل الممثلات بدرجة كبيرة بممارسة البغاء، وهو ما يعبر عنه كارانيس بعبارات بليغة، عندما يقول: "وفيما يتعلق بالممثلات فى بيزنطة، فقد كن حقًا إيمائيات، ذلك أنه بفعل إيماءاتهن والحركات الالتوائية المتنوعة التى قمن بآدائها بأجسامهن كن يوحين لمن يشاهدهن وهن يؤدين أنهن على استعداد لأن يمتعن بطريقة أكثر حميمية من يطلبوهن طالما كانوا مستعدين لأن يدفعوا لهن المقابل"(٣٦).

والحديث ما زال لبروكوبيوس الذى ضَمَّن عرضه لحياة ثيودورا قبيل زواجها من جستنيان إشارات أخرى غير مقصودة للمزيد من الظروف

الاجتماعية والاقتصادية المضطربة التى عانت منها ثيودورا بعد احترافها التمثيل المسرحى، وهى الظروف التى دفعتها إلى العودة للاعتماد على البغاء كمصدر لكسب العيش، حيث كتب ما نصه: *وفيما بعد عندما تسلم هيكيبولوس، وهو رجل من صور، قيادة حكومة بينتابوليس* (المدن الخمس الغربية التى تكون ولاية ليبيا بأفريقيا)، *تبعته* (ثيودورا) *لتلبى له أفحش الحوائج. ولكنها أساءت إلى الرجل بطريقة أو بأخرى ومن ثم طُردت على الفور. ونتيجة لهذا فقد باتت معدمة تفتقر إلى أدنى ضروريات الحياة التى بدأت من حينها فصاعدًا تحصل عليها بطريقتها المعتادة، بأن تسخر جسدها للبغاء. وأتت فى البداية إلى الإسكندرية ثم قامت برحلة حول الشرق كله عادت بعدها إلى بيزنطة، وفى كل مدينة مرت عليها كانت تشتغل بمهنتها التى يُستحسن ألا يذكرها الإنسان إذا أراد أن ينال رحمة الله. وكأن بعض قوى الشر الرجيم لم تسمح أن تكون هناك بقعة على وجه الأرض ليست على علم بفجور ثيودورا* ...[٣٧].

ونظرًا لذلك الشقاء المضنى الذى ذاقته ثيودورا فقد عزمت على تبنى مشروع إنسانى مناهض للبغاء ومغيث لكل بائسة مثلها دفعتها الظروف القاسية لامتهان البغاء لتكسب عيشها، ولقد عاونها فى هذا المشروع زوجها جستنيان الذى وقع فى حبها وألهبه عشقها منذ أن التقاها لأول مرة نحو سنة ٥٢٢م بعد فترة قصيرة من عودتها إلى القسطنطينية عقب رحلتها العصيبة التى هامت فيها على وجهها شريدة تتنقل بين بلدان الشرق وتحصل على رزقها فى معظم الأحيان ببيع جسدها لكل طالب متعة بعدما استغنى عنها عشيقها الصورى ذو المنصب الرفيع فى أفريقيا وطردها من بيته. ولقد عرفها جستنيان تائبة، حيث كانت ثيودورا بعد عودتها إلى القسطنطينية قد ابتعدت تمامًا عن الوسط الذى عاشت فيه من قبل فهجرت المسرح ولم تعد تختلط بالنساء اللواتى عرفتهن فى العاصمة الإمبراطورية فيما مضى من عمرها قبل رحيلها إلى بينتابوليس، وجعلت تعمل بيديها فى غزل وحياكة الصوف وتعيش قانعة بما يدره عليها هذا

العمل الشريف من رزق ضئيل. وحقيقة قد وجدت ثيودورا حظًا أفضل بكثير مع جستنيان الذى تعرف بها وهو لا يزال وليًّا للعهد خلال فترة حكم خاله الإمبراطور جستين الأول Justin I (٥١٨ – ٥٢٧م)، فاتخذها فى البداية عشيقة له، ثم سرعان ما هيمن عليه حبها بشدة فرفع عشيقته الفاتنة إلى مرتبة أعلى بمنحها لقب "نبيلة Patrician"، بل وحث خاله الإمبراطور على إلغاء القانون القديم الذى كان يحرم على من ينتمى للطبقة السناتورية الزواج من نسوة ينتمين لفئات وضيعة كالممثلات، وبموجب هذا التعديل التشريعى فى عام ٥٢٥م تسنى لجستنيان من وقتها العيش مع محبوبته كزوجة شرعية له، وهو العام ذاته الذى نُصب فيه جستنيان قيصرًا. وبعدها بوقت وجيز أصبح جستنيان إمبراطورًا بالشراكة مع خاله فى الرابع من أبريل عام ٥٢٧م، ومن حينها حملت زوجته ثيودورا لقب "المبجلة Augusta". وبوفاة الإمبراطور جستين فى الأول من أغسطس من العام الأخير أصبح جستنيان إمبراطورًا منفردًا ليشرك معه فى الحال على العرش الإمبراطورى زوجته الأثيرة المبجلة(٣٨).

وما كان من جستنيان بعد الإجراءات التى اتخذتها زوجته فى عام ٥٢٨م حيال أصحاب وصاحبات بيوت الدعارة والقوادين والقوادات والعاهرات على النحو الذى سبق عرضه آنفًا، إلا أن تضامن مع زوجته فى مشروعها الإنسانى لمقاومة البغاء ومساعدة النساء اللواتى أُكرهن عليه لفقرهن بصفة خاصة. ويتجلى تضامن جستنيان مع المساعى النبيلة لزوجته فى إصداره لعدد من القوانين الجديدة التى كانت غايتها مكافحة الرذيلة ورفع القيد عن المكرهات على البغاء بتحريرهن من سطوة أصحاب وصاحبات المواخير والقوادين والقوادات الذين استغلوا فقر أولئك البائسات واستأثروا لأنفسهم بالعائد من بيع أجسادهن. وعن تلك الغاية من قوانين جستنيان عبرت بشكل صريح ديباجة ذلك القانون الذى أصدره فى عام ٥٣٥م، إذ جاء فيها ما نصه: *إن ذِكر القَواد ومهنته لطالما أتى مشينًا فى القوانين القديمة، وكذا فى قوانين الإمبراطورية،*

لدرجة دعت إلى إصدار العديد من التشريعات ضد أولئك الأشخاص الذين يرتكبون جرائم بهذه الشاكلة. ومن جهتنا نحن فقد قررنا إصدار تشريع من شأنه زيادة العقوبات ضد أولئك الذين تثبت إدانتهم بارتكاب مثل هذه الأفعال الخبيثة، كما أضفنا أيضًا قوانين أخرى لتعويض ما قد حذفه أسلافنا الذين على أى حال قد غضوا الطرف عن هذا الأمر، أما نحن فقد أُخطرنا مؤخرًا بالعواقب الشريرة التى سببتها مثل هذه التجارة الفاسدة فى هذه المدينة العظيمة (أى القسطنطينية). وإننا أيضًا على علم بأن هناك بعض الأشخاص قد اعتادوا على استخدام أساليب وحشية وبغيضة لكسب الثروة؛ حيث دأبوا على التجول بالأقاليم والمناطق الأخرى لأجل أن يخدعوا الفتيات الصغيرات بوعدهن بالملابس، وبعدما يستحوزون عليهن فإنهم يحضروهن إلى هذه المدينة الأوفر حظًا، وينزلوهن فى بيوتهم مقدمين لهن الردىء من الطعام والملبس، ثم يسلموهن إلى آخرين ليُستخدمن فى الدعارة، مستأثرين لأنفسهم بكامل الربح العائد من هذه التجارة الذميمة، كاسبين إياه من أجساد ضحاياهم، وفوق ذلك فإنهم يقومون بإبرام عقود بموجبها تُجبر أولئك الفتيات على مواصلة حياتهن الشقية اللعينة على هذا النحو مهما طالت رغبة من يستحوزون عليهن فى الاحتفاظ بهن. وضمانًا للوفاء بمتطلبات عملهم فإن بعض هؤلاء (القوادين والقوادات) قد أعدوا بالفعل بيوتًا مفروشة، ليصل بهم التمادى فى تنفيذ أفعالهم الإجرامية إلى الحد الذى انتشرت معه تلك البيوت تقريبًا فى جميع أنحاء هذه المدينة الإمبراطورية، فضلًا عن بلدان ما وراء البحار، بل والأسوأ من ذلك أن البيوت من هذا النوع تتواجد بالقرب من الأماكن المقدسة والمؤسسات الدينية، بالإضافة إلى أنه فى الوقت الحاضر قد غدا هذا الشر مهيمنًا للغاية لدرجة أنه لو رغب أى أشخاص فى أن ينتشلوا أولئك الفتيات التعيسات من الحياة التى يعشنها، ويتزوجون منهن زواجًا شرعيًّا، فإنه لا يُسمح لهم بذلك. والأدهى من كل ذلك أن بعض هؤلاء (القوادين والقوادات) الأرذال قد بلغت دناءتهم إلى حد أنهم يزجون إلى معترك الفساد بفتيات لم يتممن بعد عشر سنوات من العمر،

ويستدعى افتداء هؤلاء الفتيات البائسات بغرض العقد عليهن بزواج شرعى ابتزاز مبالغ طائلة من المال. إن هناك عشرة آلاف وسيلة لا يمكن وصفها بالكلمات يشيع بها هؤلاء (القوادون والقوادات) *خرابهم، وبات الشر الناجم عن ذلك عظيمًا للغاية، وغدت الوحشية متفشية بعدما كانت مقتصرة فى أول الأمر على المناطق النائية من العاصمة، وهى ليست منتشرة الآن فى كل أحياء المدينة فحسب، وإنما ممتدة كذلك إلى ضواحيها. لقد أُخطرنا منذ فترة من قِبَل بعض الأشخاص بما وصل إليه حال الأمور، فوجهنا من ناحيتنا مؤخرًا كبار المسؤولين بإجراء تحقيق فى المسألة، وهو ما قد انتهوا منه بالفعل ورفعوا إلينا تقريرهم، وفى الحال بعدها وجدنا أنه من الضرورى التماس العون من الله وتطهير المدينة سريعًا من الجور*[٣٩].

وبذلك تكشف ديباجة القانون الجديد لسنة ٥٣٥م عن تصديق الإمبراطور جستنيان على ما اتخذته زوجته من إجراءات حيال أصحاب وصاحبات بيوت الدعارة والقوادين والقوادات، الذين كانوا يجيئون بالفتيات الصغيرات من المناطق الريفية والنائية إلى العاصمة بعدما يشتروهن من أسرهن الفقيرة بثمن بخس كالأنعام، ويغرونهن بمعسول الآمال والوعود، مستغلين حداثة أعمارهن وقلة حيلتهن، وبموجب عقود مؤبدة كانت تُسخر تلك الفتيات قسرًا فى أعمال البغاء بلا أجر مخصص لهن وبلا مناص لانتشالهن فى يوم من الأيام من حياة الذل والعار. لذلك استهدف ذلك القانون بكل قوة أصحاب المواخير والمشتغلين بالقوادة بغية إزالة الفساد من منبعه وتحرير البغايا المكرهات، فأعقب الديباجة المطروحة بعاليه نص تشريعى فى غاية الصرامة؛ جاء فيه: *بناءً على ما تقدم فإننا نوجه جميع الأشخاص إلى العيش بأقصى قدر ممكن من العفة التى إن تحلت بالثقة فى الله فسوف تكفل وحدها خير نفع للبشر. وحيث أن هناك الكثير من النساء المستضعفات، فإننا نمنع قطعيًّا أى محاولة لخداعهن بالحيلة أو الإكراه بهدف اقتيادهن إلى الضلال، سواء بإنزالهن فى بيت ليستُخدمن فى البغاء، أو بشرائهن لأى غرض آخر. كما*

نمنع أيضًا جميع الأشخاص من إبرام عقود مع هؤلاء المستهدفين بالقانون (أى مع أصحاب وصاحبات المواخير والقوادين والقوادات)، *وإن اشتملت* (تلك العقود) *على ضمانات أو اعتمدت أى وسيلة من شأنها إكراه هذه الكائنات البائسة على فقدان عفتهن ضد رغبتهن. ولم يعد من الجائز لاحقًا خداع الفتيات الصغيرات وحثهن على ممارسة البغاء بإغرائهن بالملابس والطعام والحلى. إننا نحظر قطعيًا كل هذه الأشياء، وبعد دراسة الأمر بعناية، فإننا نوجه بأن أى مواثيق قد صُكت لضمان تنفيذ مثل هذه العقود لن يعد لها أى أثر، ومن تثبت إدانتهم لن يستطيعوا استعادة هداياهم التى قد يكونوا أعطوها لفتيات من أبرمت معهم العقود السالف ذكرها، بل وهم أنفسهم سيعاقبوا بالنفى من هذه المدينة الأوفر حظًا بوصفهم عناصر خبيثة ومفسدين للآداب العامة، كونهم قد أدنوا منزلة نسوة حرائر إلى مرتبة العبودية بأن فرضوا عليهن عيش حياة فاسقة وضللوهن وأحضروهن ليستخدموهن فى البغاء الفاحش. وبناء على ما شرعنا فلن يحق من بعد لأى شخص أن ينقل أى فتاة ضد رغبتها ويكرهها على البقاء معه، سواء وفر لها الطعام الكافى أو لم يوفر، واستأثر لنفسه بما تحصله من أجور نظير بغائها، ومن يفعل ذلك سيُلقى القبض عليه من قِبَل حماة الشعب الموقرين بهذه المدينة الأوفر حظًا لمقاضاة من تثبت إدانته بتهمة السرقة وسلب الأموال بالإكراه ؛ أهناك ما يدعونا لتقديم المبررات الكافية لما شرعناه عندما يتعلق الأمر بجرائم تُرتكب ضد العفة ؟!. لو أن أى مالك لمنزل قد أجر منزله لقواد (أو قوادة)، وهو يعلم هويته (أو هويتها)، فليس لزامًا عليه طرده، وإنما سيُحكم عليه بدفع غرامة قدرها مائة من العملات الذهبية وسيُصادر منزله. ولو أن أى شخص فيما بعد قد حرر اتفاقية مكتوبة كبرهان على عقد من هذا النوع، وتلقى ضمانًا مماثلًا على تنفيذه، فإنه بموجب هذا القانون لن يستفيد بأى شكل، سواء بإجبار الفتاة أو بإلزامها بالضمانة المقدمة، لأن اتفاقيتها لاغية فى كل الأحوال ولا تتحمل مسؤوليتها تحت أى ظرف. والمذنب الذى تثبت إدانته، كما سبق أن نوهنا، سيؤدى عقوبة بدنية، وسيُنفى*

من هذه المدينة العظيمة. إننا لننصح نساء إمبراطوريتنا أن يبقين عفيفات، ولا يسمحن لأنفسهن بأن يُحرضن أو يُكرهن على تقبل حياة الفسوق. وبشكل قاطع فإننا نحظر القواده، وعندما يتم ارتكابها سوف نقوم بالمعاقبة عليها. تُطبق هذه الأحكام فى هذه المدينة الأكثر حظًا وضواحيها، وكذا فى الولايات المجاورة التى كانت من البداية خاضعة لإمبراطوريتنا، خاصةً التى وهبها الله لنا. ولأننا نرغب فى أن نظل أنقياء ولا نشوه العطية التى رأى الله أن ينعم بها على إمبراطوريتنا، فكلنا إيمان أن القانون الراهن الصادر لصالح العفة، سوف يُقبل من الله، ويكون ذا نفع عظيم لحكومتنا، وكمكافأة عليه سيضفى الله علينا كل أنواع النعم. إننا نحمل إليكم هذا القانون يا مواطنينا، لأنكم ستكونون أول من يلمس آثاره الإيجابية، انطلاقًا من درايتكم بحرصنا على رفاهيتكم، ورغبتنا فى الحفاظ على الآداب العامة، ومدى الجهود التى نبذلها أملًا فى أن تظل إمبراطوريتنا تتمع بكل حسن. تُوجه نسخة من هذا القانون مع تغيير طفيف فى العبارات إلى السيد الأكثر إجلالًا (المنوط به إنفاذه)*. وبمجرد تلقى سموكم نسخة من هذا القانون، عليكم القيام بنشره بإعلان خاص وحمله إلى كل رعايا إمبراطوريتنا، بما يشمل ليس فقط مواطنى القسطنطينية، ولكن كذلك سكان الولايات، الذين عليهم الامتثال له بالطاعة. وكل من وُجه إليهم هذا القانون، إنما عليهم استقباله كما لو كان مفروضًا من الله الذى يُكرس له هذا القانون. سُلِّم فى القسطنطينية فى الأول من شهر ديسمبر، فى عهد قنصلية بليزاريوس، ٥٣٥م*(٤٠).

هكذا منع القانون الجديد لجستنيان بشكل قاطع أى محاولة لإكراه النسوة على البغاء، فأبطل العقود المبرمة بين أسر الفتيات الفقيرات وأصحاب وصاحبات المواخير والقوادين والقوادات تحت الإغراء المادى وضغط الاحتياج، كما أبطل بأثر رجعى أى مواثيق صُكت ضمانًا لتنفيذ مثل هذه العقود، وتوعد جميع المشتغلين والمشتغلات بالقوادة بعقوبة النفى بوصفهم عناصر خبيثة مفسدة للآداب العامة. وبمقتضى هذا القانون لم يعد من حق أى شخص أن

ينقل أى فتاة من موطنها ضد رغبتها ويكرهها على البقاء معه ليستخدمها فى البغاء ويستأثر لنفسه بما تحصله من أجر على عملها، وغدا كل من يفعل ذلك عرضة لإلقاء القبض عليه وإدانته بتهمة السرقة وسلب الأموال بالإكراه. كذلك ضيق القانون الخناق تمامًا على القوادين والقوادات بأن أنذر ملاك العقارات بدفع غرامة مالية كبيرة، فضلًا عن مصادرة عقاراتهم، إن أجروا ما يملكون من عقارات لقوادين أو قوادات وهم على علم بصفتهم. وبذلك فتح هذا التشريع الجستنيانى الجديد السبيل أمام العاهرات المكرهات ليتحررن من تحكم مشغليهن من القوادين والقوادات، بعدما أضحت القوادة بنص صريح مهنة محظورة يعاقب عليها القانون. وما من شك فى أنه قد عمت فائدة القانون الجديد على البغايا فى كافة أنحاء الإمبراطورية، لتضمنه الأمر بتطبيق أحكامه فى القسطنطينية وجميع الولايات التى كانت تحت الحكم البيزنطى وقت صدور القانون. وتعلق ليندبلوم على تشريعات جستنيان، مستشهدة بقانون عام ٥٣٥م وغيره من القوانين الجستنيانية الجديدة الأخرى ذات الصلة بالبغاء، بقولها: "لقد قصد التشريع الجستنيانى حماية النسوة من البغاء القسرى بفرض عقوبات قاسية على سمسرة الفاحشة والقوادة"(٤١).

وزيادة فى تحرير العاهرات المكرهات من أى قيد يدفعهن للاستمرار فى ممارسة البغاء، قام جستنيان فى عام ٥٣٧م بإصدار قانون آخر جديد نوه فى ديباجته إلى أنه بالرغم من إصدار قانون سابق يحظر أخذ أية ضمانات على النساء المشتغلات فى بيوت الدعارة تكفل بقائهن فى عملهن الشائن، فإنه بإصدار ذلك القانون المكمل لن يكون ثمة سبيل لقبول توبة من يأخذ مثل هذه الضمانات على العاهرات، بل وينذره القانون بعقاب شديد، وينبهه كذلك إلى بطلان أى تعهدات قد أخذها بأسلوب بغيض من النساء اللواتى تحت يديه بإجبارهن على أن يقسمن على التخلى عن العفة طيلة حياتهن، وبذلك تنخدع مثل أولئك النساء فيبقين فى طريق العهر ظنًا منهن أنهن بهذا يتصرفن بأمانة لعدم حنثهن باليمين الذى أقسمنه، ومن ثم فقد جاء هذا القانون الأخير ليوعيهن

أن الحنث بيمين جائر كهذا أحب إلى الله من الاستمرار فى حياة الإثم والفجور، وعليه فهن فى حل من ذاك اليمين، والوزر كله يقع على من جعلهن يقسمن على باطل فهو الذى يستحق الجزاء من الله. وأعقب ديباجة قانون جستنيان لسنة ٥٣٧م نص حاسم على توقيع غرامة مالية قدرها عشر عملات من الذهب على كل من يستحلف عاهرة على الاستمرار فى البغاء ويُلزمها أن تبر بيمين من هذا النوع، على أن تُعطى تلك العملات الذهبية العشر إلى العاهرة نفسها لمساعدتها على التوبة والتحول إلى الحياة الفاضلة. وكلف القانون حكام الولايات بمتابعة تحصيل هذه الغرامات بأنفسهم، وفى حال تقاعسهم وجب عليهم هم الالتزام بسدادها فى نهاية مدة ولايتهم الإدارية، وإن ماتوا يُلزم بها خلفهم وورثتهم، وتضمن ممتلكاتهم ما استحق عليهم من دين حتى الوفاء به، جزاءً على عدم تنفيذ تشريع إمبراطورى وإهمال القيام بعمل خليق بالاهتمام(٤٢).

وغير ذلك ؛ كان من قوانين جستنيان أيضًا ما نص على تحرير الممثلات، بحيث لم يعد مسموحًا بموجب هذه القوانين إكراه أنثى، حرة كانت أم أمة، على اعتلاء خشبة المسرح طيلة حياتها كما كان الوضع فى السابق، بل وغدا بإمكانها أن تهجر المسرح تمامًا إن أرادت حتى ولو كانت قد تعهدت بقسم على أن تظل فى مهنتها طوال عمرها، وبات من حقها بعد اعتزالها المسرح أن تتزوج من أى شخص دون قيد حتى ولو كان هذا الشخص ذا مكانة اجتماعية عليا. وأُزيلت كذلك جميع العقبات من طريق بنات الممثلات، فأصبحن يتمتعن بجميع الحقوق التى تتمتع بها نساء الدولة الأخريات(٤٣). ولعل فوس على حق عندما يصرح تعليقًا على جملة قوانين جستنيان الجديدة التى صدرت لصالح العاهرات والممثلات، بقوله: "على الرغم من عدم ذِكر ثيودورا فى أى من هذه القوانين، فإن موضوعها يوحى بأن لها يدًا فيها"(٤٤).

هذا ولم تقف جهود جستنيان وثيودورا عند حد إصدار القوانين التى رامت استتابة العاهرات والممثلات وتحرير المكرهات منهن على وجه

الخصوص، وتصدت بمنتهى الحزم لكل من يحول بينهن وبين الطهر والعفاف، بل إنه بالإضافة إلى ذلك قد تُرجمت تلك الجهود على الأرض بشكل فعلى فى صورة تكشف عن حرص إمبراطورى كبير على مصير النسوة التائبات ورغبة واضحة فى عدم عودتهن للعهر من جديد، إذ وقع الاختيار على قصر قديم على البحر الأسود كان مهملًا ومهجورًا على الناحية الآسيوية للبوسفور بالجانب الآخر لمدينة القسطنطينية، وصدرت الأوامر بإحالة ذلك القصر إلى دير للنساء، سُمى «*Metanoia*»، أى «التوبة»، لتأوى إليه وتقيم فيه كل تائبة ندمت على ماضيها الأثيم وكانت ترغب فى التكفير عن خطاياها بعيش حياة رهبانية لا تنشغل فيها إلا بالعبادة والاستغفار والتقرب إلى الله زلفى، على أن تُوفر لجميع النساء بـ «دير التوبة» موارد العيش وكافة أسباب الراحة والطمأنينة(٤٥).

ولقد اهتمت ثيودورا بدير التوبة اهتمامًا كبيرًا وعنيت بالإشراف عليه بنفسها وأوقفت عليه الأملاك والأموال(٤٦). وعن هذا الدير تحدث بروكوبيوس فى مصنفه الأشهر "التاريخ السرى" بشكل تهكمى تحاملى كعادته فى هذا المصنف، فأورد ما نصه: *بيد أن ثيودورا قد ابتدعت عقوبات جديدة لخطايا الجسد، ومن ذلك على سبيل المثال قيامها بجمع ما يزيد عن خمسمائة عاهرة من "بنات الـ ٣ أوبول" (٤٧) اللواتى كن يبعن أنفسهن فى وسط السوق، ثم قيامها بإرسالهن إلى الشاطئ المقابل وحبسهن فى دير سُمى التوبة، وإجبارهن على التقاعد وانتهاج حياة مغايرة ومسلك مختلف. ولكن بعضهن كن يقمن بالفرار فى الليل بإلقاء أنفسهن من فوق الأسوار هربًا من تحويلهن القسرى بتلك الطريقة*(٤٨).

وحتى لو كان ذلك الكلام صحيحًا، وفعلًا لم يطق بعض النسوة البقاء فى دير التوبة، فهذا لا يقلل البتة من قيمة المشروع الإنسانى الذى نفذته ثيودورا بدعم قوى من زوجها جستنيان بهدف القضاء على البغاء بعامة ومد يد العون لجميع الساقطات والغوانى المكرهات بخاصة. وربما حق لشارل ديل أن

يدافع عن ثيودورا ويتغزل فى نبل عملها مع جستنيان بأعذب العبارات، عندما يقول: "إن هذا العمل الجليل يشرف الإمبراطورة العظيمة ويحمل أشد الناقمين على أن يغفروا لها بعض ذنوبها من أجله ! نعم، لقد أذنبت ثيودورا وأجرمت، ولكنها من ناحية أخرى صنعت كثيرًا لمكافحة الذنوب والآثام، ولا شك فى أنها حين أوحت إلى زوجها بنصوص القوانين الخاصة بالنساء الساقطات والممثلات، كانت تذكر ماضيها، وما ارتكبته هى من آثام. ولا شك أيضًا فى أنها كانت مدفوعة بدافع التوبة والندامة، ورغبت فى أن تكفر عن ماضيها الأثيم ! حقًا، أحبت ثيودورا بنات جنسها، وأرادت أن تحول الساقطات منهن إلى نساء سعيدات شريفات، ولا يهمنا أن تكون هى، فى وقت من الأوقات، قد لطخت نفسها بالعار، فإن هذا لا يعد دليلًا ضدها، بل هو دليل على أن تلك الممثلة التى جلست على عرش بيزنطة كانت جديرة بالمنصب الذى شغلته والمكانة التى ارتفعت إليها ! وما أروع عمل تلك المرأة، التى عرفت الفساد ومارسته ثم تصدت له وكافحته. وإن إغلاق المواخير وتجريم القوادة ومكافحة البغاء لمن المفاخر التى يجمل بالمؤرخين أن يتوجوا بها اسم الإمبراطورة ثيودورا التى قالت: 'عرفت البؤس فبسطت يدى إلى البائسات !'"(٤٩).

ولعل دير التوبة كان خير معبر عن صدق تطلع جستنيان وثيودورا للقضاء على البغاء، بعدما مهدا السبيل لذلك بقوانين تكفل تحرر كل مكرهة على البغاء من أى قيد يرغمها على الاستمرار فيه، ثم وفرا بهذا الدير مأوىً آمنًا وموردًا دائمًا لإعانة كل من تابت توبةً نصوحًا عن حياة العهر والفسق والرذيلة وابتغت التحول بكامل إرادتها إلى حياة الطهر والتقوى والفضيلة ..، وإذا كان بروكوبيوس قد تعرض لدير التوبة فى مصنفه "التاريخ السرى" بحديث تفوح منه نبرة السخرية والهجاء، فإنه قد عاد بعدها للحديث عن الدير ذاته بنبرة مغايرة تتضح بالتوقير والثناء، وذلك فى مصنفه "المنشآت" الذى وضعه بعدما كتب "التاريخ السرى" بأربعة أعوام على الأقل، وضمَّنه ما نصه: *كان يوجد على الشاطئ منذ الأزمنة القديمة قصر فى غاية البهاء، كرسه الإمبراطور*

جستنيان بالكامل لله، مفضلًا نيل ثواب التقوى بهذا الصنيع عن الاستمتاع الحالى الذى قد يتأتى من الانتفاع بذلك القصر. ولقد كان سبيله إلى فعل صنيعه على النحو التالى:- فى بيزنطة كان يوجد عدد كبير من النساء اللواتى أُكرهن على البغاء فى بيوت الدعارة ضد إرادتهن، وسُخرن لإشباع الشهوة المتقدة للآخرين، وكن يعشن فى فقر مدقع، ويُطعمن بأمر قواديهن (أو قواداتهن)*، ويُطلب منهن ارتكاب الفواحش يوميًّا. ودون تعارف سابق كان يتحتم على هؤلاء الفقيرات البائسات مصاحبة رجال مجهولين، بل ومعاشرة من كانوا يظهرون لهن لتوهم. ولفترة طويلة فى هذا البلد كانت هناك جماعة كبيرة من القوادين (والقوادات) الذين يتربحون من هذه التجارة الفاسدة فى مواخيرهم، ويبيعون المتعة للآخرين فى السوق العمومية، ويسوقون البراء إلى العبودية. فما كان من الإمبراطور جستنيان والإمبراطورة ثيودورا، وهما اللذان كانا على درجة واحدة من التقوى فى كل ما يفعلاه، إلا أن وضعا الخطة التالية:- لقد طهرا المجتمع من وصمة بيوت الدعارة، ونفيا كل المشتغلين (والمشتغلات) بالقوادة، وحررا النساء اللواتى كن مكرهات على هذه السخرة الفاسقة بدافع فقرهن الشديد. وبتوفير مورد عيش لأولئك النسوة، فقد أتاحا الفضيلة بالمجان، إذ قدما ذلك على النحو التالى:- على شاطئ المضيق كان هناك قصر على يمين من يبحر إلى البحر الأسود، فقاما بتحويله إلى دير عظيم ليكون بمثابة ملجأ للنساء التائبات المتبرئات من حياتهن السابقة. وكان الهدف هو تثبيتهن هناك على التوبة بتشجيعهن على عبادة الله وعيش حياة تقية وتطهير أنفسهن من الخطايا التى ارتكبنها بعملهن فى الدعارة. ولهذا فقد أسميا هذه الدار الإصلاحية النسائية باسم «التوبة»، لكى يتفق الاسم مع الغرض. ولقد خصص الإمبراطوران العديد من المنح المالية لهذا الدير، كما قاما بإنشاء العديد من المساكن الفريدة فى جمالها ورفاهيتها لراحة هؤلاء النساء، حرصًا على أن لا يُرغمن تحت أى ظرف من الظروف على التخلى عن الالتزام بالفضيلة. وبذلك يكون قد أُوفى هذا الموضوع حقه*[٥٠].

لا مجال هنا للنظر فى التناقض بين ما أورده بروكوبيوس فى "التاريخ السرى" وما أورده فى "المنشآت" أو فى غيره من مصنفاته الأخرى[٥١]، فالأحرى من ذلك هو النظر فى مردود ما اتُخذ من إجراءات وما سُن من قوانين لصالح النسوة اللاتى أُكرهن على البغاء على أرض الواقع، بمعنى هل نجحت الدولة البيزنطية فعلًا فى وضع حد نهائى للبغاء غير الطوعى بدافع الفقر، من خلال الإجراءات والقوانين التى بلغ مداها فى القرن السادس الميلادى على عهد جستنيان وثيودورا إلى حد إغلاق بيوت الدعارة وتجريم القوادة وتحرير المكرهات على البغاء مع توفير دير نسائى يكفل للتائبات القانتات حياةً مستقيمة وعيشًا كريمًا ؟

فى الحقيقة إن المطالع لسِيَر القديسين فى القرنين السادس والسابع الميلاديين، يصادف عددًا كبيرًا من الروايات التى تدل على استمرار لجوء النسوة للبغاء على خلفية أحوالهن الاجتماعية والاقتصادية التى كانت دافعة لهن لبيع أجسادهن هربًا من ضيق ذات اليد وشظف العيش. والشىء الآخر الذى يلاحظه مطالع المصادر الهجيوجرافية ذاتها أنها لا تنطوى على نظرة عدائية للنساء اللواتى أُكرهن على البغاء بسبب فقرهن، بل بالعكس، فإنها تتضمن صورًا من التعاطف مع هؤلاء النسوة، وتعطى أملًا كبيرًا فى هدايتهن وخلاصهن بمشيئة الله، كما أنها تتحدث عن جهود قام بها الصالحون لانتشال البغايا المكرهات من وحل الخطيئة، بما يتواءم مع حالة التعاطف نفسها من قِبَل الدولة حيال ذلك الصنف البائس من العاهرات على النحو الذى كشفته فيما سبق مصادر تنوعت بين وثائقية وتشريعية وأدبية.

ومن نماذج المصادر الهجيوجرافية التى يمكن استعراضها فى هذا السياق سيرة القديس ثيودور السيكيونى St. Theodore of Sykeon، وهى السيرة التى يعدها كارانيس واحدة من أهم السجلات التوثيقية للحياة الاجتماعية فى آسيا الصغرى فى نهايات القرن السادس الميلادى، لا سيما فيما يخص حياة الطبقات الدنيا[٥٢]. ويخبر كاتب السيرة بأن مارى Mary، والدة القديس

ثيودور، وأختها ديسبوينيا Despoinia وأمهما إلبيديا Elpidia كن يعملن كنادلات فى نُزُل للمسافرين بقرية اسمها سيكيون Sykeon تتبع بلدية أنستاسيوبوليس Anastasioupolis بمقاطعة غلاطية الأولى Galatia Prima التابعة لأنقرة Ancyra. وكانت النسوة الثلاث يُقِمن فى النُزُل نفسه، وبجانب عملهن كنادلات قد كن أيضًا عاهرات طوع أمر من يطلبهن من النزلاء لممارسة جنسية فى غرفته طالما سيدفع مقابل إيوائه وطعامه وشرابه ومتعته. ويتابع كاتب السيرة حديثه بأن قرية سيكيون كانت تقع على طريق البريد العام، ويمر على ذلك النُزُل الموجود بها كل المسافرين على هذا الطريق. وخلال عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ – ٥٦٥م) صدر عدد من المراسيم الإمبراطورية وأُمر بحملها من العاصمة إلى كافة الأقاليم والولايات، وكُلف بمهمة نقلها المدعو كوزماس Cosmas الذى أصبح فيما بعد من أشهر مقدمى العروض البهلوانية فى العاصمة. وفى رحلته إلى الشرق، مر كوزماس على النُزُل المذكور فدخله ليستريح بعض الوقت، وبمجرد أن وقعت عيناه على مارى أُعجب بها جدًا، فلقد كانت فائقة الجمال، وطلب منها أن تصعد معه إلى غرفته وتشاركه الفراش. وفى صباح اليوم التالى غادر كوزماس النُزُل ليستأنف رحلته، ولكن كانت نتيجة العلاقة التى أقامها مع مارى أن حملت الأخيرة وأنجبت ثيودور الذى غدا لاحقًا ناسكًا وأسقفًا شهيرًا[٥٣].

هكذا تفشى سيرة القديس ثيودور السيكيونى باستمرار مزاولة النسوة من الأوساط الدنيا فى عهد جستنيان للبغاء بغية كسب العيش، حيث اشتغلت والدة القديس وخالته وجدته بالدعارة إلى جانب عملهن كنادلات فى إحدى استراحات المسافرين، ولقد كان ذلك سمتًا غالبًا لكل نادلة بنُزُل أو حانة فى ذاك العصر[٥٤]. ويوضح دوفين أنه فى الحانات (*tavernae*) والمحطات المخصصة لاستبدال المطايا (*mutationes*)، وكذا فى استراحات المسافرين المجهزة للمبيت الليلى (*mansiones*) على طول شبكة الطرق العمومية (*cursus publicus*)، كانت تُلبى كافة احتياجات مرتادى هذه الأماكن

بواسطة النادلات، اللواتى كن يقدمن الأطعمة والنبيذ ويرقصن للزبائن وعادةً ما كن يُضاجعن فى الغرف الموجودة بالطابق العلوى، ووفقًا للتشريعات الجستنيانية لم يكن من الممكن محاسبة أى نادلة قانونيًّا على ممارسة البغاء، إذ كانت النادلة فى نظر القانون عاهرة على أى حال(٥٥). ومن أجل حماية المسافرين المسيحيين من الوقوع فريسة لمفاسد جنسية من هذا النوع، حرمت القوانين الكنسية على جميع رجال الإكليروس دخول مثل هذه الأماكن، كما اهتمت الكنيسة بإنشاء استراحات إكليرية (*xenodochia*) مجهزة للمسافرين والحجاج على طول طرق الحج الرئيسية، وكلفت الكنيسة عناصر من رجال الدين بإدارة هذه الاستراحات والقيام عليها(٥٦).

ومن ناحية أخرى قد اهتم كاتب سيرة القديس ثيودور السيكيونى بالحديث عن توبة ذوات قرباه، ومهد لذلك فى البداية بحديثه عن رؤيا تجلت لأمه فى الليلة نفسها التى سافحها فيها كوزماس، إذ أبصرت فى منامها نجمًا كبيرًا متلألأً يهوى من السماء ليستقر داخل رحمها، فاستيقظت مرتعدة ترتعش من الخوف وقصت رؤياها على كوزماس الذى حدثها بقوله: "اعتنى بنفسك جيدًا يا عزيزتى، فلعل الله قد تولاك برعايته وقدر أن يمنحك ابنًا سيكون جديرًا بأن يصبح أسقفًا"، وبهذه الكلمات انصرف كوزماس لحاله مبتهجًا ليكمل رحلته. وربما أراد كاتب السيرة من هذه القصة تأكيد نسبة القديس ثيودور لأب معلوم بالرغم من أن أمه كانت عاهرة يتناوب عليها الرجال ويصعب مع حالتها إثبات نسب حملها. وعلاوة على ذلك أراد كاتب السيرة أيضًا أن يجعل من هذا الحمل إيذانًا بانصلاح أمر صاحبته بمشيئة الله، فكانت السماء مبشرتها فى نومها بابن تنبأ له أبوه بأنه سيصبح من أصحاب القداسة. ولم يكتف كاتب السيرة بنبوءة كوزماس، وإنما أخبر كذلك بأن مارى قد سارعت بعدها إلى زيارة قديس يقطن فى بلدة أخرى ويتمتع بموهبة خاصة فى تفسير الأحلام واستشراف المستقبل، وحكت مارى لهذا القديس ما رأت فى حلمها، فأخبرها بأنها سوف تلد ابنًا سيصبح رجلًا عظيمًا، ولن تكون عظمته كتلك التى تتحقق للرجال بالجاه

والسلطان، وإنما ستكون عظمته فى تقاه وإرضائه لله. وأوضح القديس لمارى أن النجم المتلألأ فى المنام دائمًا ما يفسره الحاذقون فى تأويل الرؤى بأنه علامة على المجد الذى يبلغه كل صاحب مُلْك، ولكن فى حالتها هى يصح أن يُفسر هذا النجم المتلألأ بزينة من الفضائل والنعم أنزلها الله على الجنين الموجود فى رحمها، فالله دائمًا يحيط عباده المخلصين بهالة من القداسة وهم لا يزالون أجنة فى أرحام أمهاتهم. وتابع كاتب السيرة بأن ثيودوسيوس Theodosius الذى تم تنصيبه أسقف أنستاسيوبوليس قد أعطى التفسير ذاته لمارى عندما استمع لرؤياها. ثم انطلق كاتب السيرة بعد ذلك يقدم ترجمة كاملة لحياة ثيودور السيكيونى، موضحًا أن بركات القديس وفضائله بدأت تظهر منذ وقت مبكر، فعندما غدا فى السادسة من عمره جهزته أمه لترتحل به إلى العاصمة، حيث كانت ترغب فى إلحاقه بخدمة الإمبراطور، ولكن ظهر لها فى منامها القديس الشهيد مار جرجس St. George the Holy Martyr، وأخبرها بأن ما خططته لحياة ابنها عناء لا جدوى منه، فلقد اصطفاه الله وكرسه لمهمة أخرى. فاستيقظت أمه تبكى وعدلت عن فكرة السفر، ومن ساعتها أولت ابنها عناية فائقة. ولما أصبح ثيودور فى الثامنة من عمره سلمته أمه لمدرس ليقوم بتعليمه، وأبدى الطفل تفوقًا كبيرًا على كل زملائه وحقق تقدمًا سريعًا فى الدراسة. ولاحظ الجميع خصال القديس الحميدة منذ صغره، فكان لا يتفوه بأى كلام خبيث وهو يلعب مع الصغار، وإذا ما نشب شجار بين أقرانه كان يؤثر الانسحاب فيتأسى الغير بتصرفه ويكفون عن التشاجر، وأحبه كل المحيطين به واعتبروه قدوتهم، ويبدو أن بركته قد حلت على أهل بيته، حيث انضم للعمل مع قريباته فى النُزُل رجل متدين يخاف الله يُدعى ستيفن Stephen. وكان ستيفن هذا طاهيًا بارعًا فى إعداد أشهى الأطعمة، مما أدر ربحًا وفيرًا على المكان وجذب أعدادًا غفيرة من الزبائن، ويصرح كاتب السيرة بأنه فى ذلك الوقت كانت النسوة قرائب القديس قد أصبحن محترمات، وتخلين عن عملهن الإضافى كعاهرات والتزمن سبيل العفة والتقى والوقار، وصرن يعتمدن فى

عيشهن على الرزق الحلال الذى تحصلن عليه من ضيافة الزبائن المرموقين من كبار الموظفين الحكوميين والضباط الذين باتوا يفدون إلى النُزُل بأعداد متزايدة طالبين الطعام والشراب والاستراحة، وجميعهم كانوا يثنون على الطعام الطيب المذاق الذى كان يعده الطاهى ستيفن(٥٧).

وبصورة أوضح يظهر استمرار لجوء النسوة للبغاء كرهًا بسبب ظروفهن الاجتماعية والاقتصادية الصعبة فيما نقله الراهب يوحنا موسخوس John Moschos من أخبار القديسين فى نهايات القرن السادس وبدايات القرن السابع الميلادى بمصنفه المسمى "المرج الروحى"(٥٨). فلقد كان الفقر الشديد هو الدافع الذى حدا بأعرابية أن تدخل ذات نهار فى نهايات القرن السادس إلى الكهف الذى انعزل فيه سيسينيوس الناسك Sisinios the Anchorite بجوار نهر الأردن، وتتجرد من ملابسها وتستلقى على الأرض عارية تمامًا أمام الراهب الذى كان ساعتها منهمكًا فى إنشاد الترانيم فلم يعرها أى اهتمام فى البداية حتى فرغ من صلواته، ثم تحول بنظره إليها ليحدثها بلغتها قائلًا: "انهضى"، وتابع فى هدوء وسكينة بقوله: "ألا يمكننى التحدث معك أولًا، وبعدها أفعل ما تريدين؟"، ولما قامت المرأة البائسة وأومأت برأسها إيجابًا، سألها سيسينيوس: "هل أنت مسيحية أم وثنية؟"، فأجابت: "أنا مسيحية"، فتوجه إليها بسؤاله: "وهل تعلمين ما هو مصير الزناة؟"، فأجابت: "نعم، إننى أعلم"، فتابع القديس يسألها: "لماذا إذن تطلبين الفحشاء؟"، فأجابته بقولها: "لأننى جائعة !"، فما كان من الناسك الورع إلا أن وعدها بأن يعطيها الطعام يوميًّا بشرط أن تتوقف عن البغاء ولا تعود إليه أبدًا. ووفقًا لرواية موسخوس ظلت الأعرابية بالفعل تحضر كل يوم إلى كهف سيسينيوس الذى استمر بدوره يتكفل بإطعامها حتى رحل عن المكان(٥٩).

وغير ذلك ؛ ضَمَّن يوحنا موسخوس مصنفه نفسه روايات أخرى تبوح بالصلة الوثيقة بين الفقر والعوز من ناحية وبيع النسوة لأجسادهن مكرهات تحت ضغط الحاجة من ناحية أخرى، ففى موضع آخر من "المرج الروحى"

سجل موسخوس ما نصه: *فى شركة مغارة (أى فى دير) القديس ساباس، قمنا بزيارة الأب إيوستاثيوس مقدم الشركة (أى رئيس الدير) الذى قال لنا: "كان هناك تاجر فى مدينة صور يُدعى موسخوس، وأخبرنا هذا التاجر عندما كنا فى صور بما يلى: 'عندما كنت مشتغلًا بالتجارة ذهبت إلى الحمام متأخرًا ذات مساء، وفى الطريق صادفت امرأة تقف وحدها فى الظلام فتقدمت نحوها وحييتها فحيتنى ووافقت على أن تتبعنى. ساعتها كنت مفعمًا بسعادةٍ شيطانية عارمة لدرجة أننى لم أتحمم وتوجهت مباشرة لتناول العشاء. وعلى العشاء حاولت جاهدًا إقناعها أن تشاركنى طعامى، ولكنها أبت أن تذوق شيئًا «ولا حتى لقمة واحدة». وأخيرًا قمنا وذهبنا إلى الفراش، وعندما بدأت أعانقها أطلقت صرخةً هائلة وأجهشت بالبكاء، قائلة: 'يا لى من حقيرة بائسة !' فسألتها مرتجفًا: 'ما الخطب؟' فازدادت بكاءً وهى تقول: 'إن زوجى تاجر قد تحطمت سفينته ففقد بذلك مِلكَه الخاص وممتلكات الآخرين، والآن هو فى السجن بسبب خسائر الآخرين، وبعدما استبد بى التفكير فيما يمكننى أن أفعل لأحضر الخبز له، قررت فى خزى كبير أن أبيع جسدى من أجل الحصول على الخبز، فلقد أخذوا منا كل شىء'. قلت لها: 'وكم يبلغ الدين؟' فأجابت: 'خمسة أرطال من الذهب' «أى ما يساوى ثلاثمائة وستين قطعة ذهبية أو ألف وستمائة وثمانية وثلاثين جرامًا من الذهب»، فأخرجت الذهب وأعطيته لها، قائلًا: "خوفًا من حكم الله، لم ألمسك، اذهبى لتفتدى زوجك بهذا الذهب، وصَلِّى من أجلى'!"...*[٦٠].

كذا سجل يوحنا موسخوس فى موضع لاحق من مصنفه المذكور رواية أخرى جاء فيها: *قال الأب ثيوناس والأب ثيودور: "إنه فى وقت بطريركية بول كان هناك فتاة عذراء بالإسكندرية فقدت كلا أبويها – وكانت لديهما ثروة كبيرة. وقتها لم تكن الفتاة قد عُمدت بعد «نظرًا لفجيعتها»، وفى أحد الأيام خرجت الفتاة بمفردها إلى البستان الذى تركه لها أبواها – (حيث كانت هناك بساتين فى وسط المدينة ملحقة بمنازل علية القوم)، وبينما كانت فى البستان رأت رجلًا*

يتأهب لشنق نفسه، فاندفعت نحوه وقالت: 'ويحك !! ماذا تفعل أيها الرجل الطيب؟' فأجابها: 'من فضلك دعينى وشأنى يا امرأة، فإننى فى محنة كبيرة'، فقالت له الفتاة 'أخبرنى بالحقيقة، لعلى استطيع مساعدتك'، فقال لها: 'أنا فى دَينٍ كبير ويضغط علىَّ الدائنون بشدة لأسدد لهم، فاخترت أن أموت بدلًا من مجابهة مصير بائس'، فقالت له: 'أتوسل إليك، خذ كل ما أملك وأعطه لهم، فقط أرجوك أن لا تهلك نفسك'، وأخذ منها الرجل ما قدمت ودفع لدائنيه. لكن الفتاة مرت بعدها بمصاعب، ولم يكن لديها من يعتنى بها – (كونها قد فقدت أبويها) – وعندما قهرها العوز الشديد، اضطُرت لبيع نفسها وامتهنت البغاء"...(٦١).

هكذا تضمنت الأخبار التى نقلها يوحنا موسخوس صورًا متنوعة للمرأة المضطرة للبغاء نتيجة لسوء أحوالها الاجتماعية والاقتصادية، فظهرت المرأة الساقطة غير مرة كضحية لفقر ساقها إلى بيع جسدها لتكسب عيشها، خاصة إذا لم تجد معيل يتولى الإنفاق عليها ويصون شرفها كتلك الفتاة السكندرية التى امتهنت البغاء مضطرة بعدما فقدت أبويها وضحت بثروتها. وكما يُلاحظ فإنه عادةً ما امتزجت عند موسخوس وغيره من كتاب الهجيوجرافيا نظرة التعاطف تجاه هذا النوع المكره من العاهرات مع فكرة التوبة المعتمدة على مد يد العون لأولئك النسوة البائسات لكى يتبن عن العهر ويرجعن إلى الطريق القويم من جديد، ومثلما أشار موسخوس فى هذا الصدد إلى تكفل الراهب سيسينيوس بإطعام العاهرة الأعرابية حتى لا تضطر إلى بيع جسدها لمن يطعمها، وكذا ما فعله التاجر الصورى مع السيدة التى لجأت إلى البغاء بسبب دَين زوجها، فقد أشار أيضًا ليونتيوس Leontius – أسقف نيابوليس Neapolis بقبرص Cyprus فى القرن السابع الميلادى – إلى ما قام به القديس سمعان المتباله St. Symeon the Holy Fool مع إحدى الإماء الساقطات فى حمص فى القرن السادس الميلادى، حيث كان من عادة هذا القديس التردد على منازل الغوانى وأوكار الفسق بغرض استتابة العاهرات، ومن

بين هذه المنازل بيت راقصة استعراضية بالمسرح كان لديها جارية حملت بسبب علاقة كانت تجمعها بواحد من الأعيان، ولم تشأ تلك الجارية الساقطة الإفصاح عن هوية السيد الذى كان يسافحها، فلما ضغطت عليها سيدتها لتقر باسم عشيقها أخبرت الجارية كذبًا بأن سمعان المتباله هو الذى ضاجعها عنوة. وحينما حضر القديس إلى منزل الراقصة كعادته، قالت له الأخيرة: "حسنًا أيها الأب سمعان، لقد عاشرت جاريتى وحبَّلتها"، فانفجر القديس ضحكًا وقال لها: "فلتتركينى وحدى أيتها البائسة، قريبًا تضع هذه الأمة وليدها ويصبح لديك سمعان صغير". وطوال فترة حملها ظل القديس يرعى الجارية التى اتهمته ظلمًا ويحضر لها الخبز واللحم والسمك، ويقول لها بعطف وهو يطعمها بيديه: "كلى يا زوجتى"، وعندما جاءت ساعة ولادتها كان أمرها متعسرًا جدًا وظن الجميع أنها ملاقية حتفها، فطلبت سيدتها من سمعان أن يصلى من أجلها، وبفرحة وسرور أجاب الأخير بقوله: "بحق المسيح أيتها البائسة، لن يخرج الطفل حتى تخبرنا هذه الأمة من هو أبوه"، ولما سمعت الجارية ذلك اعترفت لتوها بأنها قد بهتت القديس وكشفت عن هوية مسافحها، فوضعت فى الحال[٦٢].

كذلك فى سيرة القديس يوحنا المتصدق St. John the Almsgiver (المعروف أيضًا بيوحنا الرحوم John the Merciful) بطريرك الإسكندرية فى بدايات القرن السابع الميلادى، يمكن الوقوف على المجهودات التى بذلها راهب يُدعى بيتاليوس Bitalius بغية استتابة العاهرات فى الإسكندرية، خاصة المساعدات المالية التى قدمها ذلك الراهب للبغايا حتى يقلعن عن البغاء، فلقد جاء بالسيرة أن المدعو بيتاليوس (أو ڤيتاليوس Vitalius) كان يبلغ من العمر حوالى ستين عامًا عندما خرج من دير القديس سيريدون St. Seridon فى غزة وحضر إلى مدينة الإسكندرية، وفور وصوله قام بإعداد قائمة بأسماء أشهر العاهرات فى المدينة، ثم أوجد لنفسه عملًا يتحصل منه على أجر يومى محدد. وعند غروب الشمس كل يوم كان بيتاليوس يأخذ جزءًا من أجرته التى حصلها من عمله ويتجه إلى بيت واحدة من العاهرات ويعطيها هذا المال، وحينما كان

يختلى بالعاهرة كان يقول لها: "دعينى أمضى الليل معك، ولكنى لا أريد الجنس"، وبالفعل كان يقضى ليلته معها لكى يطمئن إلى أنها لن تمارس الفحشاء مع زبون آخر. وطوال الليل كان بيتاليوس يقف فى ركن من الغرفة ولا يمس العاهرة المستلقية أمامه على الفراش فى الغرفة نفسها، وإنما يظل ينشد الترانيم ويصلى لأجلها ويسجد ويبتهل لخلاصها حتى طلوع الفجر، وقبل أن ينصرف كان يطلب من العاهرة أن تعده بأن لا تخبر أحدًا بما جرى بينهما. وعلى الرغم من أن إحدى العاهرات قد كشفت أمر الراهب الورع للناس، وتعرضت سمعته فى أرجاء الإسكندرية للتشنيع والفضيحة، فإن كل ذلك لم يحده عن الاستمرار فى تنفيذ مشروعه التطهيرى الهادف إلى استتابة العاهرات والسعى لخلاصهن منفقًا عليهن من ماله ليكففن عن بيع الهوى متعللات بالحاجة(٦٣).

وأيضًا فى ضوء هجيوجرافيا العصر البيزنطى الباكر وشىء من هجيوجرافيا العصر البيزنطى الأوسط، استعرض سيرجي إيڤانوڤ Sergey Ivanov بمقاله المعنون: "قديس فى بيت دعارة" نماذج أخرى متنوعة للمجهودات التى بذلها القديسون من أجل استتابة العاهرات، وفى سبيل ذلك لم يخجل هؤلاء القديسون من ترددهم على المواخير والحانات وغيرها من أوكار الفاحشة فى أرجاء مختلفة من العالم البيزنطى، متنكرين فى بعض الأحيان فى هيئة علمانية بارتدائهم زى الجنود مثلًا، وتظاهرهم بأنهم زبائن وإنفاقهم من مالهم الخاص حتى يُسمح لهم بدخول مثل هذه الأوكار المشبوهة، فيختبرون فيها ثباتهم وقدرتهم على قهر شهواتهم والتحكم فى غرائزهم، جاعلين غايتهم الأساسية حث العاهرات داخل هذه الأوكار على التخلى عن العهر مع وعدهن فى الغالب الأعم بحياة فاضلة كريمة يعشنها داخل أديار النساء إن صدقن فى توبتهن ورجعن إلى الله وتحولن إلى حياة الرهبنة التى تكفل لهن الغفران والخلاص والتكفير عما اقترفنه من آثام وخطايا(٦٤).

ختامًا ؛ يمكن القول أن المجتمعات البيزنطية فى العصر الباكر قد

انتقل إليها موروث البغاء من العصرين اليونانى والرومانى، وبالرغم من أن المسيحية قد غدت الدين الرسمى للدولة البيزنطية منذ عصرها الباكر، بكل ما تحمله المسيحية من تحريم للزنا والفسق بمختلف أشكاله، فإن ذلك لم يمنع من استمرار البغاء الذى ظل يشكل موردًا من الموارد الاقتصادية للدولة بموجب عائدات ضريبة البغاء التى استمر تحصيلها خلال عهود الأباطرة المسيحيين، وربما يفسر ذلك عدم إقدام أى من هؤلاء الأباطرة على إصدار قانون يجرم البغاء تجريمًا قطعيًّا ويكفل انتهاء وجود هذه التجارة الفاسدة فى الإمبراطورية البيزنطية. ومع الاعتراف بحقيقة استمرار وجود البغاء فى الإمبراطورية البيزنطية، يتحتم التمييز بين فئتين من العاهرات، إحداهما كانت مكرهة على البغاء ومضطرة له بدافع الفقر وطلب العيش، والأخرى اختارت البغاء طوعًا بدافع الشهوة الجنسية الفائضة وجريًا وراء متاع الدنيا. ولقد ركزت الدراسة الراهنة على الفئة الأولى من العاهرات لكونها قد حظيت بتعاطف كبير من الدولة، وبخاصة فى عهد جستنيان وثيودورا، وتجلى هذا التعاطف فيما صدر من قوانين واتُخذ من إجراءات بهدف تحرير المكرهات على البغاء من قيود الذل والعار وتوفير الدعم الكفيل بتحولهن من حياة العهر واللهو والمجون إلى حياة العفة والالتزام والفضيلة. ومع ذلك يبدو أن مجهودات الدولة البيزنطية لإنقاذ النساء اللواتى مارسن البغاء كرهًا بدافع فقرهن لم تضع نهاية لاستمرار وجود هذه الفئة البائسة من العاهرات فى الإمبراطورية، حيث استمر لجوء النسوة لبيع أجسادهن كسبًا للعيش فى القرن السادس الميلادى والقرون اللاحقة[٦٥]، ومن ثم برزت مع نهايات العصر البيزنطى الباكر مجهودات واضحة لأهل الخير والإحسان، خاصة من أصحاب القداسة، كان مأربها السعى لاستتابة العاهرات بوجه عام، ومد يد العون للفئة البائسة المكرهة منهن بوجه خاص، أملًا فى أن يهديهن الله جميعًا سواء السبيل ويتحولن إلى حياة نسكية طاهرة تضمن لهن العيش الكريم والتكفير بإخلاص عن الفعل الأثيم[٦٦].

هوامش البحث

(١) P. Charanis, "Some Aspects of Daily Life in Byzantium", *Greek Orthodox Theological Review* 8 (1962 – 63), pp. 53-70, esp. 60-1, reprinted in P. Charanis, *Social, Economic and Political Life in the Byzantine Empire: Collected Studies*, London 1973, no. XI.

(٢) S. Leontsini, *Die Prostitution im frühen Byzanz*, Dissertationen der Universität Wien 194, Wien 1989.

(٣) C. Dauphin, "Brothels, Baths and Babes: Prostitution in the Byzantine Holy Land", *Classics Ireland* 3 (1996), pp. 47-72, esp. 48-9.

(٤) H. J. Magoulias, "Bathhouse, Inn, Tavern, Prostitution and the Stage as seen in the Lives of the Saints in the Sixth and Seventh Centuries", *Ἐπετηρὶς Ἑταιρείας Βυζαντινῶν Σπουδῶν (ΕΕΒΣ)* 38 (1971), pp. 233-52.

(٥) J. Lindblom, *Women and public space: Social codes and female presence in the Byzantine urban society of the 6th to the 8th centuries*, Ph. D. dissertation, University of Helsinki 2019, pp. 158-63.

(٦) (*hetairai*): فى المجتمعات اليونانية القديمة لم تكن كل العاهرات فى مرتبة اجتماعية واحدة، ففى المرتبة الأدنى كان هناك البورناى *pornai* (whores/or prostitutes) اللواتى التقطن زبائنهن من الشوارع والطرقات أو اللواتى عملن فى بيوت الدعارة بمقابل زهيد. أما الهيتايراى *hetairai* (courtesans) – وتعنى الكلمة حرفيًا الرفيقات (companions) – فكن فى المرتبة الأعلى فى وسط العاهرات، إذ مارسن نشاطهن بعيدًا عن بيوت الدعارة، وفى الغالب لم تكن مخالطتهن فى استطاعة الرجل العادى، حيث كن يتمتعن بحظ وافر من الجمال والذكاء واللباقة، مما أهلهن لمرافقة صفوة السادة من علية القوم فجنين ثروات كبيرة من علاقاتهن بهؤلاء الرجال الأثرياء. وبين البورناى والهيتايراى كان فى مصاف العاهرات أيضًا زمرة من الفنانات والعارضات اللواتى قمن بإحياء الحفلات والعروض كمقدمات استعراضات ترفيهية أو راقصات أو لاعبات أكروبات أو عازفات مزمار *aulētrides*، وبخلاف مواهبهن الفنية، بالطبع كانت هؤلاء

النسوة رهن إشارة من يطلبهن لمتعة جنسية من الضيوف الحاضرين فرادى وجماعات. انظر: L. Llewellyn-Jones, "Prostitution, Greek", in M. Gagarin & E. Fantham (eds.), *The Oxford Encyclopedia of Ancient Greece and Rome*, vol. 6, Oxford 2010, pp. 44-6.

(٧) قديمًا (*pallakai*):

سمحت بعض النظم الاجتماعية بعلاقة التسرى (concubinage) التى كانت تبيح للسيد وطء جارية (slave) مملوكة له، لترتفع بذلك هذه الجارية إلى درجة محظية (privileged slave/or slave-wife/or concubine) ترافق سيدها ويستمتع بها، ولكن تظل المحظية فى كل الأحوال أقل مرتبةً فى علاقتها بسيدها من الزوجة الشرعية. وفى إطار حديثه عن المحظيات فى العالم اليونانى القديم، أوضح موريس سيلڤر Morris Silver أن التسرى بـ "المحظية *pallakē*" كان فى المقام الأول توفيقًا اجتماعيًا وشرعيًا غايته تلبية الاحتياجات الزوجية للرجال، لا سيما الرجال من الطبقة العليا الذين اقتضت ظروفهم فى بعض الأوقات الابتعاد عن بيوتهم وزوجاتهم وأسرهم لمدد زمنية طويلة لزيارة ضياعهم البعيدة ومتابعة شؤونها أو لإنجاز عمل أو تجارة أو غيرها من الأمور التى تطلبت الارتحال، وخلال فترات غيابهم كان لا بد لهؤلاء الرجال من الاستمتاع بحياة جنسية مستقرة لا تهدد حقوق أبنائهم الشرعيين فى الميراث من بعدهم. وعليه كان من الأسلم للسيد اليونانى أن يتخذ جارية أو أكثر من جواريه المحليات أو الأجنبيات كمحظية ترافقه فى فراشه إينما حل وتعتنى به وتلتزم تجاهه بكل واجبات الزوجة، ولو أنجبت يكون نسله منها من الأحرار الجديرين بالتمتع بحقوق المواطنة. انظر: M. Silver, *Slave-Wives, Single Women and "Bastards" in the Ancient Greek World: Law and Economics Perspectives*, Oxford – Philadelphia 2018, pp. 13-27.

وعن الفروق الاجتماعية بين الزوجة والمحظية فى العالم اليونانى القديم؛ انظر أيضًا: E. Bonk, *Differentiating Slaves from Wives in Ancient Athens by Social Death*, Research Thesis Presented in partial fulfillment of the requirements for graduation with Honors, Department of Classics – The Ohio State University 2013.

(٨)Demosthenes, *Speeches* 59.122, trans. V. Bers, *Demosthenes, Speeches* 50 – 59, The Oratory of Classical Greece 6, Austin: University of Texas Press 2003, pp. 151 ff. عن هذه الخطبة؛ انظر أيضًا: G. H. Macurdy, "Apollodorus and the Speech against Neaera (Pseudo-Dem. LIX)", *The American Journal of Philology* 63.3 (1942), pp. 257-71. وعن التباين المتعمد فى المصطلحات المشار بها للعاهرات عند ديموستينيس؛ انظر: J. Miner, "Courtesan, Concubine, Whore: Apollodorus' Deliberate Use of Terms for Prostitutes", *The American Journal of Philology* 124.1 (2003), pp. 19-37.

(٩) عن البغاء فى المجتمعات اليونانية القديمة؛ انظر: J. N. Davidson, *Courtesans and Fishcakes: The Consuming Passions of Classical Athens*, London 1998; A. Dalby, "Levels of Concealment: The Dress of *Hetairai* and *Pornai* in Greek Texts", in L. Llewellyn-Jones (ed.), *Women's Dress in the Ancient Greek World*, London 2002, pp. 111-24; D. Hamel, *Trying Neaira: The True Story of a Courtesan's Scandalous Life in Ancient Greece*, New Haven, Conn.: Yale University Press 2003; L. Llewellyn-Jones, *Aphrodite's Tortoise: The Veiled Woman of Ancient Greece*, Swansea 2003; S. L. Budin, *The Myth of Sacred Prostitution in Antiquity*, Cambridge, U.K. 2008; K. Kapparis, *Prostitution in the Ancient Greek World*, Berlin – Boston 2018.

(١٠)P. Salmon, *Population et dépopulation dans l'empire Romain*, Bruxelles 1974, p. 45; Dauphin, "Brothels, Baths and Babes", p. 47.

(١١)T. A. J. McGinn, "Prostitution, Roman", in M. Gagarin & E. Fantham (eds.), *The Oxford Encyclopedia of Ancient Greece and Rome*, vol. 6, Oxford 2010, pp. 46-9. ارتبط البغاء فى العالم الرومانى، مثلما ارتبط فيما بعد فى العالم البيزنطى، ببعض الأماكن والمناسبات التى اجتذبت أعدادًا كبيرة من المرتادين والمشاهدين كحلبات السيرك والحمامات العامة والمسارح والمدرجات والمهرجانات وساحات الألعاب والمسابقات الرياضية. والواضح أن الارتباط بين البغاء وأماكن التسلية العمومية التى اتفقت جميعًا من الناحية المعمارية فى تحلية مداخلها)، والتى اتفقت كذلك فى أنه قد بيع فيها الهوى ضمن archesبالأقبية أو الأقواس (

التى تعنى القبو *fornix*أشياء أخرى، كان ارتباطًا وثيقًا للغاية لدرجة أن الكلمة اللاتينية) منذ brothel) قد صارت هى نفسها مرادفة للماخور أو بيت الدعارة (archأو القوس (التى كانت فى الأصل تعنى إقامة *fornicatio*القرن الثانى قبل الميلاد، كما أن كلمة) قد أصبحت هى الأخرى اصطلاحًا مرادفًا للبغاء vaultingالأقبية أو الأقواس ( ) بصفة illicit sex) أو مرادفًا للزنا أو أى ممارسة جنسية محرمة (prostitution(عامة، وهو الاصطلاح الذى غدا شائعًا بعد ذلك بين الكُتَّاب المسيحيين بصفة خاصة. هذا وقد حدد الباحثون بدرجات متفاوتة من الاستناد والتأكيد ما لا يقل عن واحد وأربعين *cellae*بيت دعارة فى بومبى، فضلًا عن ثلاث عشرة من المخادع أو المضاجع) التى كانت عبارة عن أماكن من غرفة واحدة مخصصة cribs (*metericia*e للمضاجعة على جانب الطريق أو فى الناحية الخلفية من الحانة. وهناك ثلاثة أنواع فرعية من بيوت الدعارة تظهر فى بقايا بومبى، أولها النوع المبنى خصيصًا لهذا الغرض، ولو صح فإنه يوجد نموذج وحيد فقط لذلك الطراز من بيوت الدعارة. أما النوع الثانى فإنه على طراز الحانة التى تتميز بوجود غرف للمضاجعة إما خلف الحانة أو فى أعلاها، والمؤكد أن ذلك الطراز كان هو أكثر الأنواع الثلاثة عدًا وانتشارًا. هذا فى حين كان النوع الثالث متصلًا بمآوى شعبية متواضعة ولا يحوى حانة. ومن المرجح جدًا أن الجنس كان يُباع كذلك بالقرب من أماكن أخرى آهلة يكثر التردد عليها داخل المدينة كأبنية الحمامات العامة التى كان ملحقًا ببعضها مواخير لممارسة الدعارة. كذلك تم الكشف عن عدد من بيوت الدعارة فى بعض المدن الرومانية الأخرى بما فيها مدينة روما نفسها. ولقد خضعت هذه الأماكن جميعًا للرقابة من قبل موظفى روما العموميين ، الذين كانوا مسؤولين عن حفظ الآداب العامة والتفتيش على *aediles*من درجة الأيديل الأبنية العمومية وساحات الألعاب والترفيه وغيرها من الأماكن الآهلة. ويكمن جانب كبير من معايير حفظ النظام العام فى مراعاة المحافظة على ما حددته الدولة من فروق بين النسوة المحترمات الفاضلات والعاهرات، فضلًا عن تحصيل الضرائب وإيجارات الممتلكات العامة حيثما كان يُباع الجنس. بيد أنه على النقيض مما قد يتم افتراضه أحيانًا، فإن السياسة العامة الرومانية لم تحدد أماكن بيوت الدعارة على نحو يقضى بإزاحتها بعيدًا إلى الشوارع الجانبية والأماكن الموجودة خارج نطاق الطرق العمومية، فى

) الذى moral zoningشكل يدل على وجود ما يُعرف بالتقسيم الأخلاقى للمناطق (كان مألوفًا فى العصور البيزنطية اللاحقة. وربما توجس بعض أصحاب المحال خيفة من إدارة أماكن للدعارة فى أماكن عملهم، ولكن بوجه عام كانت الرغبة فى التربح هى الأساس فى تحديد عدد ومواقع بيوت الدعارة، وهى أيضًا المنفعة الأساسية التى سعت الدولة نفسها إلى الاشتراك فى جنيها من خلال ضريبة البغاء التى انتقلت فيما بعد مسؤولية تحصيلها من جباة الضرائب المدنيين إلى جباة الضرائب العسكريين لأسباب متعلقة بالطبع بالتأمين والحماية، فضلًا عن أهميتها الاقتصادية الكبيرة بالنسبة للدولة.

M. Beard & عن البغاء وأحواله والتشريعات الخاصة به فى العالم الرومانى؛ انظر:
J. Henderson, "With This Body I Thee Worship: Sacred Prostitution in Antiquity", in M. Wyke (ed.), *Gender and the Body in the Ancient Mediterranean*, Oxford – Malden, Mass. 1998, pp. 56-79; T. A. J. McGinn, *Prostitution, Sexuality, and the Law in Ancient Rome*, Oxford – New York 1998; R. Flemming, "Quae Corpore Quaestum Facit: The Sexual Economy of Female Prostitution in the Roman Empire", *Journal of Roman Studies* 89 (1999), pp. 38-61; T. A. J. McGinn, "The Augustan Marriage Legislation and Social Practice: Elite Endogamy vs. Male 'Marrying Down'", in J-J. Aubert & A. J. B. Sirks (eds.), *Speculum Iuris: Roman Law as a Reflection of Economic and Social Life*, Ann Arbor: University of Michigan Press 2002, pp. 46-93; T. A. J. McGinn, "Pompeian Brothels and Social History", *Journal of Roman Archaeology Supplement* 47 (2002), pp. 7-46; S. L. Budin, "*Pallakai*, Prostitutes, and Prophetesses", *Classical Philology* 98 (2003), pp. 148-59; T. A. J. McGinn, *The Economy of Prostitution in the Roman World: A Study of Social History and the Brothel*, Ann Arbor: University of Michigan Press 2004; S. J. R. Ellis, "The Distribution of Bars at Pompeii: Archaeological, Spatial, and Viewshed Analyses", *Journal of Roman Archaeology* 17 (2004), pp. 371-84; C. A. Faraone & L. K. McClure (eds.), *Prostitutes and Courtesans in the Ancient World*, Madison: University of Wisconsin Press 2006.

(١٢) McGinn, *The Economy of Prostitution in the Roman World*, p. 76.

أيضًا خصص مجين فصلًا كاملًا من دراسته "الدعارة والجنس والقانون فى روما

القديمة" للحديث بالتفصيل عن ضريبة البغاء التى فُرضت على العاهرات ابتداءً من عهد كاليجولا، ونتائج فرض هذه الضريبة فى عهود الأباطرة اللاحقين، وكان من أهم هذه النتائج شرعنة البغاء واستمراره، علاوة على ما حققته الدولة من عائدات مالية ضخمة. انظر: McGinn, *Prostitution, Sexuality, and the Law in Ancient Rome*, pp. 248-87.

(١٣) فى هذا الصدد ينوه دوفين إلى قوانين مجمع ترولو المسكونى (The Ecumenical Council in Trullo) المنعقد عام ٦٩٢م فى عهد الإمبراطور جستنيان الثانى Justinian II (٦٨٥ – ٦٩٥م/ ٧٠٥ – ٧١١م)، وبالأخص القانون رقم [٨٧]. انظر: Dauphin, "Brothels, Baths and Babes", p. 47, n. 4. وبمراجعة جميع القوانين الصادرة عن مجمع ترولو تبين للباحث أن القانون رقم [٨٧] قد جاء بما نصه: "إذا هجر أى شخص زوجته وتزوج بأخرى، فإنه — وفقًا للقانون رقم [٥٧] للقديس باسيليوس الكبير — يظل لمدة عام فى المرتبة الأدنى، ولمدة عامين فى المرتبة الثانية، ولمدة ثلاثة أعوام فى المرتبة الثالثة، ولمدة عام فى المرتبة الرابعة من مراتب التوبة". كذلك اشتملت القوانين الصادرة عن مجمع ترولو على عدد من البنود والمواد الأخرى التى يتجلى من خلالها بكل وضوح مدى كراهية الكنيسة للتعددية الزوجية واشمئزازها من اتخاذ المحظيات إلى حد فصلها رجال الإكليروس إن اقترنوا بأكثر من امرأة، فمن ذلك نص البند الأول من بنود القانون رقم [٣] على فصل جميع رجال الإكليروس الذين تزوجوا لمرة ثانية، ما لم يكونوا قد أصلحوا ذلك الفساد قبل منتصف شهر يناير من عام ٦٩١م. بينما نص البند الثانى من بنود القانون الأخير ذاته على أن يُستبعد من الخدمة الروحية كل قسيس أو شماس تخلى عن ذلك الرباط غير الشرعى بزوجة ثانية وتاب وكبح شهوته وتحلى بالزهد أو ماتت زوجته الثانية قبل صدور هذا القانون، ويمكن له إن أخلص فى توبته لبعض الوقت أن يحتفظ بدرجته الإكليرية، ووجب عليه أن يقنع ويرضى بمكانته المشرفة. هذا فى حين نص البند الثالث من بنود القانون رقم [٣] أيضًا على أن القساوسة والشمامسة والشمامسة المساعدين الذين تزوجوا لمرة واحدة فقط، ولكن كان زواجهم من أرملة أو أنهم تزوجوا بعد رسامتهم، من الممكن لهم إذا أخلصوا فى توبتهم لفترة أن يُعادوا إلى وظائفهم على أنهم قد لا يُرقون إلى الدرجة الأعلى. كذا جاء

بالبند الرابع من بنود القانون رقم [٣] ما نصه: "فى المستقبل، وتمشيًا مع القوانين القديمة، لن يحق لأى شخص أن يُعين أسقفًا أو يصبح من رجال الإكليروس بصفة عامة إذا تزوج مرتين بعد تعميده أو اتخذ محظية أو تزوج من أرملة أو مطلقة أو عاهرة أو جارية أو ممثلة". كما نص القانون رقم [٩٣] على أنه لو تزوجت أى سيدة قبل أن تتيقن من وفاة زوجها الذى اختفى أو سافر ولم يعد أو غاب فى الحرب، فإنها تُتهم بالزنا، حتى وإن تعذرت بأن احتمالية وفاة زوجها كانت كبيرة. ومن ناحية أخرى لو تزوج رجل هجرته زوجته من امرأة أخرى دون إخطار الزوجة الأولى، فإن على زوجته الثانية أن تتركه إن عادت إليه زوجته الأولى، على أن الزوجة الثانية تكون فى حالتها تلك قد ارتكبت الفحشاء عن جهالة، ويمكن لها أن تتزوج مرة ثانية لو أرادت، ولكن من الأفضل لها أن لا تفعل. كذلك تضمن القانون رقم [٩٣] ذاته النص على أن أى جندى عاد إلى بيته بعد وقت طويل ووجد زوجته قد تزوجت من آخر، فإنه يحق له لو أراد أن يسترد زوجته ويسامحها ويسامح من تزوجته. وجاء القانون رقم [٩٨] بما نصه: "إذا تزوج أى شخص من خطيبة شخص آخر فى حياته، فإنه يُعاقب كزانى". أما فيما يتعلق بالبغاء فقد نص القانون رقم [٨٦] من قوانين مجمع ترولو على معاقبة أى شخص من رجال الإكليروس يمتلك ماخور بالخلع من وظيفته الإكليرية، فضلًا عن حرمانه كنسيًّا، ووفقًا للقانون نفسه يُعاقب أيضًا بالحرمان الكنسى أى صاحب ماخور من العلمانيين، غير أن هذا القانون لم يضع بطبيعة الحال نهاية لممارسات البغاء فى الإمبراطورية البيزنطية. انظر: K. J. von Hefele, *A History of the Councils of the Church, from the original documents*, vol. 5 (*A.D. 626 to the close of the Second Council of Nicaea, A.D. 787*), Edinburgh 1896, pp. 221-39.

(١٤) على الرغم من إباحة البغاء فى بيزنطة، فإن العهر لم يكن هو سمت المجتمع البيزنطى بصفة عامة، ذلك أن الرجل البيزنطى العادى كان يتطلع إلى الارتباط بامرأة واحدة تشاركه فى تكوين أسرة من خلال زواج شرعى، على أن تكون عروسه فى أول قدومها بيته عذراء لم يمسسها أحد غيره قبل اقترانه بها، إذ كانت العذرية مسألة مقدرة للغاية وذات أهمية قصوى فى بيزنطة، اللهم إلا إذا كانت العروس ثيبًا سبق لها الزواج من قبل. ولهذا جرت العادة فى بيزنطة على أن يؤكد المتزوج بفتاة بكر للأقارب والأصدقاء

فى صباح اليوم التالى لعرسه أنه فعلًا قد وجد عروسه بكرًا عند اجتماعه بها لأول مرة فى ليلة عرسهما. ولهذا أيضًا حرصت الأسر البيزنطية بدرجة كبيرة على أن تحافظ على بناتها عفيفات مصونات بمنأى عن أى اختلاط قبل الزواج. انظر: Charanis, "Some Aspects of Daily Life in Byzantium", p. 62.

(١٥) بعد عرض مفصل، أفاد مؤرخ كبير تخصص فى التاريخ الكنسى للإمبراطورية البيزنطية بأن القرن الرابع الميلادى قد شهد تغيرًا جذريًّا إن لم يكن انقلابًا بعد أن تحولت الإمبراطورية الرومانية إلى ممالأة المسيحية فى بدايات القرن الرابع الميلادى على يد قسطنطين الكبير Constantine the Great (٣٠٦ – ٣٣٧م) وبنيه، عندما اعتبرت المسيحية ديانة شرعية أو ديانة مصرح بوجودها *religio licita* إلى جوار اليهودية وتحت مظلة الوثنية — الدين الرسمى للإمبراطورية —، ثم اعتبارها هى الديانة الرسمية للإمبراطورية بدلًا من الوثنية فى نهايات القرن الرابع الميلادى على يد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧٩ – ٣٩٥م). وكنتيجة حتمية لذلك كان لا بد أن يحدث التحول الهائل فى الفكر السياسى والنظام الاقتصادى والعلاقات الاجتماعية. انظر: رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، أربعة أجزاء، جـ٤ (المسيحية الجديدة)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١، ص١٦٩؛ الفكر المصرى فى العصر المسيحى، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، القاهرة، ٢٠١٢، ص٣٠٦. وعن تحول الإمبراطورية الرومانية من الوثنية إلى المسيحية فى القرن الرابع الميلادى؛ انظر أيضًا: A. A. Vasiliev, *History of the Byzantine Empire 324-1453*, vol. 1, Madison: University of Wisconsin Press 1952, pp. 43-128.

(١٦) ومن آيات الكتاب المقدس الأخرى فى تحريم الزنا والفسق والفجور: *لاَ تُسَلِّمْ نَفْسَكَ إِلَى الزَّوَانِي، لِئَلاَّ تُتْلِفَ مِيرَاثَكَ* (سفر يشوع بن سيراخ ٩: ٦)؛ *أَيُّهَا الرَّبُّ الأَبُ، يَا إِلهَ حَيَاتِي، لاَ تَتْرُكْنِي وَمَشُورَةَ شَفَتَيَّ. لاَ تَدَعْنِي أَطْمَحُ بِعَيْنَيَّ وَالْهَوَى اصْرِفْهُ عَنِّي. لاَ تَمْلِكْنِي شَهْوَةُ الْبَطْنِ وَلاَ الزِّنَا وَلاَ تُسَلِّمْنِي إِلَى نَفْسٍ وَقِحَةٍ* (سفر يشوع بن سيراخ ٢٣: ٤–٦)؛ *بِسَبَبِ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ يَفْتَقِرُ الْمَرْءُ إِلَى رَغِيفِ خُبْزٍ، وَامْرَأَةُ رَجُلٍ آخَرَ تَقْتَنِصُ النَّفْسَ الْكَرِيمَةَ* (سفر الأمثال ٦: ٢٦)؛ *الزَّانِي بِامْرَأَةٍ فَعَدِيمُ الْعَقْلِ. الْمُهْلِكُ نَفْسَهُ هُوَ يَفْعَلُهُ* (سفر الأمثال ٦:

٣٢)؛ *مَنْ يُحِبُّ الْحِكْمَةَ يُفَرِّحُ أَبَاهُ، وَرَفِيقُ الزَّوَانِي يُبَدِّدُ مَالًا* (سفر الأمثال ٢٩: ٣)؛ *أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ؟ لاَ تَضِلُّوا: لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مُأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ، وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ* (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٦: ٩، ١٠)؛ *النَّامُوسَ لَمْ يُوضَعْ لِلْبَارِّ، بَلْ لِلأَثَمَةِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ، لِلْفُجَّارِ وَالْخُطَاةِ، لِلدَّنِسِينَ وَالْمُسْتَبِيحِينَ، لِقَاتِلِي الآبَاءِ وَقَاتِلِي الأُمَّهَاتِ، لِقَاتِلِي النَّاسِ، لِلزُّنَاةِ، لِمُضَاجِعِي الذُّكُورِ، لِسَارِقِي النَّاسِ، لِلْكَذَّابِينَ، لِلْحَانِثِينَ، وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ آخَرُ يُقَاوِمُ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، حَسَبَ إِنْجِيلِ مَجْدِ اللهِ الْمُبَارَكِ الَّذِي اؤْتُمِنْتُ أَنَا عَلَيْهِ* (رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ١: ٩-١١)؛ *لِيَكُنِ الزِّوَاجُ مُكَرَّمًا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَالْمَضْجَعُ غَيْرَ نَجِسٍ. وَأَمَّا الْعَاهِرُونَ وَالزُّنَاةُ فَسَيَدِينُهُمُ اللهُ* (رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ١٣: ٤)؛ *وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ. ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا* (رسالة يعقوب ١: ١٤، ١٥)؛ *لاَ تَزْنِ* (سفر الخروج ٢٠: ١٤؛ سفر التثنية ٥: ١٨؛ إنجيل متى ٥: ٢٧؛ ١٩: ١٨؛ إنجيل مرقس ١٠: ١٩؛ رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٣: ٩؛ رسالة يعقوب ٢: ١١). ولمزيد من الآيات؛ انظر أيضًا: (سفر اللاويين ١٨: ٢٠-٣٠)؛ (سفر يشوع بن سيراخ ٢٣: ٢٢-٣١)؛ (سفر أيوب ٢٤: ١٥)؛ (سفر الأمثال ٥: ٣-٥؛ ٢٣: ٢٧-٢٨؛ ٣٠: ٢٠)؛ (إنجيل متى ٥: ٣١، ٣٢؛ ١٩: ٩)؛ (إنجيل مرقس ٧: ١٨-٢٣؛ ١٠: ١١، ١٢)؛ (إنجيل لوقا ١٦: ١٨؛ ١٨: ١٨-٢٠)؛ (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٢: ٢٢؛ ٦: ١٣)؛ (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٥: ٩-١٣؛ ٦: ١٣؛ ١٠: ٨)؛ (رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٥: ٥)؛ (رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ١١: ٣١)؛ (رسالة يعقوب ٢: ٢٤، ٢٥؛ ٤: ٤)؛ (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢: ٢١؛ ٩: ٢٠، ٢١؛ ٢١: ٧، ٨؛ ٢٢: ١٤، ١٥).

(١٧) تعليقًا على مجالات العمل التى كانت متاحة أمام المرأة فى العالم البيزنطى، أوضحت جوديث هيرين عددًا من الحقائق المهمة، ومنها أن الشواهد المصدرية على حياة النساء فى المجتمعات الحضرية، خاصة حياة الفقيرات داخل هذه المجتمعات، تفوق بكثير من حيث الكم الشواهد المصدرية على حياة النساء فى المجتمعات الريفية. وفى المدن يتجلى

أثر الموروث القديم على مجالات العمل التى ظلت متاحة للنساء فى العصر البيزنطى الباكر، بغض النظر عن اعتراض الكنيسة عليها، حيث انحصرت تلك المجالات بدرجة كبيرة فى المسابقات والعروض العامة والتمثيل الإيمائى المسرحى وما شابه من مجالات الترفيه، ناهيك عن العمل فى الحمامات العامة الذى طالما كان محل ازدراء من قبل الكنيسة، ولكن دون جدوى فالفصل العنصرى بين الرجال والنساء جريًا على التقاليد القديمة كان داعيًا للاستمرار فى تشغيل المرأة فى المرافق المخصصة للنساء، وعلى رأسها الحمامات العامة للإناث التى تكثر الشواهد على عمل النسوة بها. وبخلاف ذلك تشير شواهد أخرى إلى عمل المرأة فى تطبيب النساء والقبالة، مما يعكس حقيقة أنه كان من غير اللائق أن يطلع الرجال على عورات نساء محترمات لسن من ذوات قرباهم. وبالطبع لا تُقارن تلك المجالات القليلة لعمل النساء بمجالات العمل العديدة التى كانت متاحة أمام الرجال، فبصفة عامة كان من الصعب على المرأة تأمين حياة مهنية مستقرة ودائمة كالرجل، بيد أن ثمة شواهد تفيد باشتغال بعض النسوة فى مجالات أكثر استقرارًا إلى حد ما عما سبق ذكره، كمجال التجارة مثلًا، فبعضهن كن يقمن بإعداد أصناف من الأطعمة فى منازلهن ويبعنها فى الأسواق والشوارع أو يسوقنها فى أنحاء المدينة. كما تمكن القليل من النسوة من امتلاك محلات تجارية مختلفة الأنشطة وإدارتها. ومع ذلك ظل الترفيه بمختلف أشكاله هو القطاع الأساسى لتشغيل السواد الأعظم من النساء فى العالم البيزنطى، وفى الوقت ذاته كان قطاع الترفيه هو القطاع الوحيد الذى يمكن أن يتيح للمرأة فرصة لتحقيق النجومية والشهرة إن تحلت بقدر كاف من الموهبة والمهارة، وندر للغاية أن تجد المرأة فرصة مماثلة فى غيره من المجالات العامة. غير أنه فى كل الأحوال كان من العسير جدًا بالنسبة للمرأة العاملة أن تحظى فى المجتمعات البيزنطية بالاستقلالية والاحترام، ومرد ذلك إلى الأعراف والتقاليد القديمة المتعلقة بقرار المرأة فى بيتها وقايةً وصونًا لها، وهى الأعراف والتقاليد التى استمر سريانها خلال العصور الوسطى، بل واكتسبت تأييدًا ودعمًا من الكنيسة. من ثم فلا عجب أنه كان يُنظر قانونيًّا إلى الممثلات ومقدمات الاستعراضات والراقصات وغيرهن من المشتغلات فى الترفيه على أنهن جميعًا عاهرات. ولا شك قد تفاقم خطر اختلاط المرأة بالمجتمع وخروجها للحياة العامة فى حالة فقرها أو افتقادها لمعيل ينفق عليها، فعلى الرغم من وجود بعض

صور الكفالة الاجتماعية كتوزيع الخبز بالمجان على المعدمين والمجهودات الخيرية التى قامت بها الكنيسة، فإن الجوع والفقر قد ساقا الكثير من النسوة إلى امتهان البغاء، وكانت الفتيات الريفيات المنتميات لأسر معدمة هن الأكثر عرضة لاستغلال القوادين، ولم يكن من سبيل آخر لنجاة مثل أولئك الفتيات البائسات من شبح الحرمان إلا أن يتوفر للواحدة منهن حظ طيب فيرتبط بها حضرى قادر بزواج شرعى وتبلغ بذلك بر الأمان، أو حتى يعصمها سيد يعشقها أو يمتلكها كجارية له ويتسرى بها وربما تتحول مع الوقت من درجتها المهينة كعشيقة أو محظية إلى زوجة شرعية فيما بعد، وإن كانت فرصة حدوث ذلك ضئيلة للغاية. انظر: J. Herrin, "In Search of Byzantine Women: Three Avenues of Approach", in A. Cameron & A. Kuhrt (eds.), *Images of Women in Antiquity*, Detroit: Wayne State University Press 1993, pp. 167-89, esp. 168-70. ومن ناحيتها أكدت ليندبلوم أيضًا على بعض مجالات العمل التى ذكرتها هيرين ضمن المجالات المحدودة لعمل المرأة فى العالم البيزنطى، مثل اشتغال النسوة كعاملات بالحمامات العامة أو بائعات جائلات أو قابلات، بالإضافة إلى بعض الأعمال الخيرية. وبذلك اختلفت ليندبلوم فى الرأى مع ليونتسينى التى حصرت ظهور المرأة فى الحياة العامة البيزنطية فى مجالى البغاء والترفيه فقط، بعيدًا عن دورها داخل البلاط الإمبراطورى فى عهود بعض الأسر الحاكمة. انظر: Lindblom, *Women and public space*, p. 158, n. 976; Leontsini, *Die Prostitution im frühen Byzanz*, pp. 194-5.

(١٨) *CJ* 4.43.2, trans. S. P. Scott, *The Civil Law, incl. The Twelve Tables, The Institutes of Gaius, The Rules of Ulpian, The Opinions of Paulus, The Enactments of Justinian, and the Constitutions of Leo: in Seventeen Volumes*, Cincinnati 1932, vol. 13 (*The Code of Justinian*, Books IV–VI), Book IV, Title XLIII, Sec. 2, p. 99. وعن هذا القانون؛ انظر أيضًا: W. L. Westermann, *The Slave Systems of Greek and Roman Antiquity*, Memoirs of the American Philosophical Society 40, Philadelphia 1955, repr. 1984, p. 115; C. G. G. Mac Gaw, "*CJ*.4.43.2: Esclavitud y libertad, representaciones simbólicas y prácticas sociales", in A. Gonzalès (ed.), *La fin du statut servile? Affranchissement, libération, abolition*, vol. 1

(*Hommage à Jacques Annequin*), *Actes du XXXe Colloque du Groupe de recherche sur l'esclavage dans l'antiquité* 30.1, Besançon 15-17 décembre 2005, Besançon: Presses Universitaires de Franche-Comté 2008, pp. 203-12.

(١٩) للنظر فى المرجعية القانونية التى استند إليها الحكم الصادر يمكن مراجعة جنومون الإديوس لوجوس *Gnomon* of the Idios Logos، ويُقصد به المقننة أو الدليل القانونى الذى يحوى بين طياته العديد من اللوائح والتعليمات والقوانين والتشريعات التى طُبقت فى مصر كولاية تحت حكم الإمبراطورية، وكانت منفذة فى جميع أرجاء البلاد، وشاملة لشتى مناحى الحياة المدنية والإدارية والقضائية والمالية والدينية والاجتماعية ... إلخ، بما فيها شؤون العلاقات الزوجية والتبنى والوصايا والمواريث ومصادرات الأموال والعقارات ... وهلم جرا، بالإضافة إلى الالتزامات الواجبة على جميع الأفراد والعقوبات المفروضة على جميع أنواع الانتهاكات والجرائم، حيث تربو بنود المقننة على المائة والواحد والعشرين بندًا تعرضت لكافة علاقات الناس بعضهم مع بعض وتصرفاتهم فى حياتهم العامة والخاصة على السواء. انظر: مقننة الإديولوجوس المسطرة على وثيقة بردية نادرة وبها العديد من بنود الدستور الذى سنه أغسطس لمصر الرومانية، ترجمة: زكى على، القاهرة، ١٩٩٨، خاصة البند السادس والثلاثون المتعلق بمصادرة أموال وتوزيع تركات من ارتكبوا جرائم قتل وصدرت ضدهم أحكام، الأسطر ١٠١ – ١٠٥، ص١٩١–٣.

(٢٠) سُجلت وقائع هذه القضية بمخطوط (codex) أرخه ناشره وآخرون من بعده بأواخر القرن الرابع الميلادى، ولكن مؤخرًا أرخه نيكوليتا كانافو وأمفيلوشيوس باباثوماس بخمسينيات القرن ذاته. وقد عُثر على هذا المخطوط فى الأشمونين (Hermopolis) التابعة حاليًا لمحافظة المنيا بجمهورية مصر العربية، والتى تعد موقعًا رئيسيًّا للوثائق البردية المكتشفة فى مصر الوسطى بصفة عامة. ويوجد هذا المخطوط الآن فى مدينة برلين بألمانيا، حيث اشتراه أوتو روبنسون Otto Rubensohn لصالح متحف برلين عام ١٩٠٢، ونشره فيلهلم شوبارت Wilhelm Schubart عام ١٩١٢ فى الجزء الرابع من مجموعة الوثائق اليونانية المحفوظة بمتحف برلين (*Aegyptische Urkunden aus den Königlichen Museen zu Berlin, Griechische Urkunden*, vol.

BGU IV 4 (Nos. 1013-1209) = *BGU* IV, Berlin 1912 (تحت الأرقام 1024-1027). ويتكون المخطوط من أربع عشرة ورقة بردى مكتوب على وجهيها لتكون فى مجموعها ثمان وعشرين صفحة. وتحتوى الصفحات (٣ – ٨) من المخطوط على بقايا مجموعة من الأحكام القضائية التى صدرت فيما لا يقل عن سبع قضايا جنائية مختلفة، وهى التى نُشرت تحت رقم (*BGU* IV 1024). وبينما اختصت القضية الأولى بفضيحة اجتماعية تتعلق بامرأة على ما يبدو، اختصت القضية الثانية أيضًا بفضيحة امرأة تُدعى صُفرونيا Sophronia ضبطها زوجها فى أحضان عشيقها، فقام الزوج بملاحقة العشيق وهو ممسك بسيفه يبتغى قتله، ولكن تمكن العشيق من الهرب ولاذ بالفرار ليعود الزوج المطعون فى شرفه إلى زوجته ويقتلها بالسيف ذاته الذى اعتزم به الفتك بعشيقها. كذلك اختصت القضية الرابعة بجريمة مشابهة للجريمة المرتكبة فى القضية الثانية، حيث حوكم فيها شخص ربطته علاقة عاطفية قوية بفتاة، ولكنه قام بقتلها بسيفه وهو ثائر غضبان عندما ضبطها فى الفراش مع رجل آخر، غير أنه سرعان ما ندم على فعلته ومثُل أمام العدالة ليُحكم عليه فيما ارتكب، وربما نفعه هذا الندم حيث أعطاه القاضى عقوبة أخف من الإعدام بأن حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة مدى الحياة فى المحاجر جزاءً لجريمته. أما القضية الخامسة فقد اختصت بمعاقبة أحد العسكريين بالنفى لمدة عامين لارتكابه جريمة زنا المحارم وتورطه فى هذا الفعل الأثيم مع أم وابنتها على ما يبدو، مع الإشارة فى وقائع المحاكمة إلى أن المتهم كان قد سبق له أن تلقى تحذيرًا بالامتناع عن ممارسة الفعل نفسه، ولكنه صمم على التمادى فى فحشه فاستحق الجزاء وفقًا للقوانين. هذا فى حين كان للقضية السابعة النصيب الأكبر بين سلسلة القضايا الأخرى من حيث طولها وتفصيل وقائعها وملابساتها، فيبدأ استعراضها من أعلى الصفحة السادسة إلى آخر الصفحة الثامنة من صفحات المخطوط، وهى قضية ديوديموس السناتور السكندرى الذى قتل العاهرة الشعبية فحُكم عليه بالإعدام مع توريث عُشْر أملاكه لوالدة ضحيته على نحو ما تم سرده أعلاه. اعتمد الباحث على تناول جيمس كينان لهذا المخطوط بالعرض والترجمة والتحليل؛ انظر: J. G. Keenan, "Roman Criminal Law in a Berlin Papyrus Codex (BGU IV 1024–1027)", *Archiv für Papyrus-forschung* 35 (1989), pp. 15-23. كذلك استعان الباحث بعرض آخر

قدمه روجر باجنال لمحتوى هذا المخطوط مع ترجمة دقيقة لنص وقائع قضية ديوديموس قاتل عاهرة الإسكندرية فى إطار حديثه غير المسهب عن البغاء فى مصر إبان العصر البيزنطى. انظر: R. S. Bagnall, *Egypt in Late Antiquity*, Princeton 1993, pp. 196-8. وأخيرًا اعتمد الباحث أيضًا على الرؤية الجديدة والترجمة المنقحة والتحليلات والملاحظات الإضافية التى قدمها كانافو وباباثوماس فى دراسة وافية تختص بوقائع قضية ديوديموس. انظر: N. Kanavou & A. Papathomas, "An Alexandrian Murder Case Revisited: (P.Philammon = BGU IV 1024, pp. 6.3–8.21)", *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik* 200 (2016), pp. 453-69.

وللاطِّلاع على نص الوثيقة *BGU* IV 1024 (الصفحات ٣ – ٨ من المخطوط)؛ يمكن الاستعانة أيضًا بالرابط الإلكترونى: http://papyri.info/ddbdp/bgu;4;1024

(٢١) N. Lewis, *Life in Egypt under Roman Rule*, Oxford 1983, pp. 145-6 ؛ انظر أيضًا الترجمة العربية: نافتالى لويس، الحياة فى مصر فى العصر الرومانى (٣٠ق.م – ٢٨٤م)، ترجمة وتعليق: آمال محمد محمد الروبى، مراجعة: محمد حمدى إبراهيم، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٦٢.

(٢٢) Bagnall, *Egypt in Late Antiquity*, p. 198.

(٢٣) *Life of St. Mary of Egypt*, trans. M. Kouli, in A.-M. Talbot (ed.), *Holy Women of Byzantium: Ten Saint's Lives in English Translation*, Byzantine saints' lives in translation 1, Washington, D.C.: Dumbarton Oaks 1996, pp. 65-93, chap. 18, p. 80. وعن القديسة مريم المصرية؛ انظر أيضًا: B. Ward, *Harlots of the Desert: A Study of Repentance in Early Monastic Sources*, Kalamazoo, Mich. 1987, pp. 26-56. وتعيِّد لها الكنيسة القبطية فى ذكرى وفاتها فى اليوم السادس من شهر برموده من كل عام. انظر: السنكسار القبطى، جـ٢، ط٣، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٩٦–٨.

(٢٤) للاطِّلاع على سيرة القديسة بيلاجيا الأنطاكية؛ انظر: *Life of St. Pelagia of Antioch*, in S. P. Brock & S. A. Harvey (trans.), *Holy Women of the Syrian Orient*, The Transformation of the Classical Heritage 13, Berkeley – Los Angeles – London: University of California Press 1998, pp. 40-62; Ward, *Harlots of the Desert*, pp. 57-75.

وعن مريم المصرية وبيلاجيا الأنطاكية؛ انظر أيضًا: عبد العزيز رمضان، "صورة المرأة فى الأدب الرهبانى خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين"، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس، المجلد الحادى والثلاثون، ٢٠١٤، ص٣١-٥٢، خاصة٤٦.

(٢٥) Lindblom, *Women and public space*, p. 159.

(٢٦) غير أن المطالع للكتابات الهجيوجرافية يصادف فى حالات أخرى نبرة واضحة من التعاطف مع النسوة اللواتى أُكرهن على البغاء بسبب أوضاعهن الاجتماعية والاقتصادية التى دفعتهن إلى بيع أجسادهن مقابل المال، وهو ما ستتم مناقشته لاحقًا فى ضوء هجيوجرافيا القرنين السادس والسابع الميلاديين.

(٢٧) S. John Chrysostom, Archbishop of Constantinople, *The Homilies on the Gospel of St. Matthew*, translated with notes and indices, vol. 3 (Hom. LIX – XC), Oxford 1851, hom. 67, pp. 901-12, esp. 908.

(٢٨) يتبنى بروك وهارفى الرأى القائل بأن الممثلة والعاهرة التائبة التى يتحدث عنها يوحنا ذهبى الفم فى هذه العظة هى القديسة بيلاجيا الأنطاكية. انظر: Brock & Harvey, *Holy Women of the Syrian Orient*, p. 40.

(٢٩) S. John Chrysostom, Archbishop of Constantinople, *The Homilies on the Gospel of St. John*, translated with notes and indices, vol. 1 (Hom. I – XLI), Oxford 1848, hom. 37, pp. 307-13, esp. 312.

(٣٠) S. John Chrysostom, Archbishop of Constantinople, *The Homilies on the Epistle of St. Paul the Apostle to the Romans*, translated with notes and indices, Oxford 1841, hom. 24, pp. 406-15.

(٣١) *CTh* 15.8.2 = *CJ* 11.41(**40**).6, trans. Scott, vol. 15 (*The Code of*

Justinian, Books IX - XII), Book XI, Title (**XL**), Sec. 6, pp. 192-3. انظر أيضًا: J. Disney (ed. & trans.), *A View of Ancient Laws, Against Immorality and Profaneness, Collected from the Jewish, Roman, Greek, Gothic, Lombard, and Other Laws, Down to the Middle of the Eleventh Century*, Cambridge 1729, Chap. 3, Sec. 3, p. 17; T. A. J. McGinn, "The Legal Definition of Prostitute in Late Antiquity", *Memoirs of the American Academy in Rome* 42 (1997), pp. 73-116, esp. 85.

(٣٢)Malalas, *Chron.* 18.24 [440-1], trans. E. Jeffreys *et al.*, *The Chronicle of John Malalas*, Byzantina Australiensia 4, Melbourne: Australian Association for Byzantine Studies 1986, Book 18, Chap. 24, (cit. n. 440-1), pp. 255-6.

(٣٣)C. Foss, "The Empress Theodora", *Byzantion* 72.1 (2002), pp. 141-76, esp. 150.

(٣٤)Procopius, *Anecd.* 9.1-30, trans. A. Kaldellis, *Prokopios, The Secret History: with Related Texts*, Indianapolis – Cambridge 2010, pt. 2 (*Justinian and Theodora*), Chap. 9, Secs. 1-30, pp. 40-4. انظر: وانظر أيضًا الترجمة العربية: بروكوبيوس، التاريخ السرى، ترجمة: صبرى أبو الخير سليم، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٩٥–١٠٠.

(٣٥)Procopius, *Anecd.* 9.1-22, trans. Kaldellis, pt. 2, Chap. 9, Secs. 1-22, pp. 40-3.

(٣٦)Charanis, "Some Aspects of Daily Life in Byzantium", p. 62.

(٣٧)Procopius, *Anecd.* 9.27-28, trans. Kaldellis, pt. 2, Chap. 9, Secs. 27, 28, p. 43.

(٣٨)John of Ephesus, *Lives of the Eastern saints*, vol. 1, ed. & trans. E. W. Brooks, Patrologia Orientalis 17.1, Paris 1923, p. 189; D. Daube, "The Marriage of Justinian and Theodora. Legal and Theological Reflections", *Catholic University Law Review* 16.4 (1967), pp. 380-99; C. Pazdernik, "Our Most Pious Consort Given us by God: Dissident Reactions to the Partnership of Justinian and Theodora, AD 525.–549", *Classical Antiquity* 13 (1994), pp. 256-81; N. E. Korte, "Procopius' Portrayal of Theodora in the Secret

History: 'Her Charity was Universal'", *Hirundo: The McGill Journal of Classical Studies* 3 (2005), pp. 109-30, esp. 119; E. A. Hecker, *A Short History of Women's Rights: From the Days of Augustus to the Present Time*, New York 2005, p. 74; A-B. Strandskogen & R. Strandskogen, "Justinian I", in M. A. Farah (ed.), *Lifelines in World History: The Ancient World, The Medieval World, The Early Modern World, The Modern World*, London – New York 2009, pp. 75-82, esp. 75; S. A. Harvey, "Theodora the "Believing Queen": A Study in Syriac Historiographical Tradition", *Hugoye: Journal of Syriac Studies* 4.2 (2001 [2010]), pp. 209-34, esp. 214; U. Unterweger, "The Image of the Empress Theodora as Patron", *Wiener Jahrbuch für Kunstgeschichte* 60.1 (2012), pp. 97-108; esp. 104. ؛ شارل ديل، تيودورا: الممثلة المتوجة، ترجمة: حبيب جاماتى، سلسلة كتاب الهلال ١٠٩، دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٠، ص٣٦–٥٢. وعن جستنيان وثيودورا؛ انظر أيضًا: R. Browning, *Justinian and Theodora*, rev. ed., London 1987.

(٣٩) *Nov.* 14 pr., trans. Scott, vol. 16 (*The New Constitutions (Novels) of Justinian*, Collections I-VII), Coll. III, Title I, New Const. 14 prologue, pp. 78-9.

(٤٠) *Nov.* 14, trans. Scott, pp. 79-80.

(٤١) Lindblom, *Women and public space*, p. 160.

(٤٢) *Nov.* 51, trans. Scott, vol. 16, Coll. V, Title VI, New Const. 51, p. 222.

(٤٣) من القوانين الخاصة بزواج الممثلات وبناتهن؛ انظر على سبيل المثال لا الحصر: *CJ* 1.4.33 (AD 534); 5.4.23.(5, 6) (undated); *Nov.* 51 (AD 537); *Nov.* 117.6 (AD 542). وعن هذه القوانين؛ انظر أيضًا: J. Beaucamp, *Le statut de la femme à Byzance (4e-7e siècle)*, tom. 1 (*Le droit impérial*), Travaux et mémoires du centre de recherche d'histoire et civilisation de Byzance, Monographies 5, Paris 1990, p. 150; Foss, "The Empress Theodora", p. 150; Lindblom, *Women and public space*, p. 162.

(٤٤) Foss, "The Empress Theodora", p. 150.

وعن إيعاز ثيودورا لجستنيان بالقوانين التى أصدرها الأخير والإجراءات التى اتخذها لصالح العاهرات والممثلات؛ انظر: D. Potter, *Theodora: Actress, Empress, Saint*, New York: Oxford University Press 2015, pp. 181-3.

(٤٥) D. J. Constantelos, *Byzantine Philanthropy and Social Wellfare*, New Brunswick – New Jersey 1968, p. 272. Cf. Procopius, *Aedif.* 1.9, trans. H. B. Dewing, *Procopius, Secret History, Wars, Buildings: in Seven Volumes*, vol. 7 (*On Buildings & General Index*), Loeb Classical Library 343, Cambridge, Mass.: Harvard University Press 1940, pp. 76-7.

(٤٦) شارل ديل، تيودورا، ص١٦٧.

(٤٧) أوضح بارى بلدوين أن وصف بروكوبيوس للعاهرات اللواتى جمعتهن ثيودورا وأرسلتهن إلى دير التوبة، بعبارة "ἐς τριώβολον μιςθαρνούσας"، يعتبر مفارقة تاريخية من وجهة نظر بعض الباحثين المحدثين، لأن الأوبول كان قد تقادم زمنه ولم يعد مستخدمًا كوحدة نقدية فى أيام بروكوبيوس، فضلًا عن أن تعريفة الـ ٣ أوبول كانت أجرة متعارف عليها للعاهرات فى العالم اليونانى القديم لا فى العالم البيزنطى الذى غدت تُقدر أجرة العاهرات فيه بالنوميزما عادةً وليس بالأوبول. وقد وردت إشارة إلى أجرة عاهرة فى رواية أوردها بالاديوس فى تاريخه اللاوسى (فصـ٦٥)، وتحدث فيها عن ناسكة مسيحية عاشت فى كورنثوس Corinth واضطهدها أحد القضاة بسبب الوشاة، وبعدما فشل فى إغوائها، أمر بوضعها فى ماخور وطلب من القواد الذى ولاه عليها ليشغلها فى البغاء أن يدفع له يوميًّا ثلاثة نوميزمات أجرة لها. ومع ذلك فإنه يمكن القول بأن بروكوبيوس قد قصد بعبارته تلك إضفاء مسحة من السخرية والاستهزاء بالعاهرات اللواتى انتقتهن ثيودورا ليتعففن ويعشن حياةً نسكية فى دير التوبة، فاستخدم لذلك وصفًا كان دارجًا على ألسنة الناس فى زمنه للإشارة إلى العاهرات الرخيصات اللواتى كن يصطدن زبائنهن من الأسواق العامة والشوارع والطرقات، بالرغم من انقراض عملة الأوبول وعدم تداولها بين الناس حينذاك. انظر: B. Baldwin, "Three-Obol Girls in Procopius", *Hermes* 120.2 (1992), pp. 255-7.

وللاطِّلاع على رواية بالاديوس المشار فيها إلى أجرة عاهرة؛ انظر: بالاديوس، التاريخ اللاوسى، ضمن كتاب التاريخ الرهبانى فى أواخر القرن الرابع

الميلادى، ترجمة: الأب بولا ساويرس البراموسى، ط١، مركز باناريون للتراث الآبائى، القاهرة، ٢٠١٣، ص٤٨٤-٥. ويمكن مقاربة وصف بروكوبيوس بما نفعله فى حياتنا حاليًا من تثمين أشياء بعملات لم تعد مستخدمة، مثل السحتوت والمليم والنكلة والتعريفة والقرش صاغ ... إلخ، كنايةً عن رخص سعرها.

(٤٨)Procopius, *Anecd.* 17.5-6, trans. Kaldellis, pt. 2, Chap. 17, Secs. 5, 6, p. 76.

(٤٩) شارل ديل، تيودورا، ص١٦٧-٨.

(٥٠)Procopius, *Aedif.* 1.9.1-10, trans. Kaldellis, *Related Texts* 4, pp. 150-2.

(٥١) عن هذا التناقض؛ انظر: Korte, "Procopius' Portrayal of Theodora in the Secret History", p. 112; Kaldellis (trans.), *Prokopios, The Secret History: with Related Texts*, introd. pp. vii-lxxix, esp. xxiv-xxix; J. M. Gilmer, "Procopius of Caesarea: A Case Study in Imperial Criticism", *Βυζαντινά Σύμμεικτα* 23 (2013), pp. 45-57.

(٥٢)Charanis, "Some Aspects of Daily Life in Byzantium", pp. 61-2.

(٥٣) *The Life of St. Theodore of Sykeon*, in E. Dawes (trans.) & N. H. Baynes (introd. and notes), *Three Byzantine Saints: Contemporary Biographies of St. Daniel the Stylite, St. Theodore of Sykeon and St. John the Almsgiver*, London 1948, Chap. 3. اعتمد الباحث على النسخة الإلكترونية من هذا المصدر، المنشورة على الموقع التالى:
https://sourcebooks.fordham.edu/basis/theodore-sykeon.asp

(٥٤) فى موضع من دراسته عن الحمام والنُزُل والحانة والبغاء والمسرح من واقع سِيَر القديسين فى القرنين السادس والسابع الميلاديين، يقول ماجولياس: "لنوجه اهتمامنا الآن إلى النُزُل والحانة للوقوف على أهميتهما بالنسبة للحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الإمبراطورية البيزنطية. وعلينا بدايةً التمييز بين الـ *πανδοχεῖον*، وهو النُزُل الذى كان يوجد على جانب الطريق، والـ *καπηλεῖον*، وهى الحانة التى كانت توجد فى البلدة أو المدينة، وكلا المرفقين كانا جاهزين لتقديم الضيافة للمسافرين من الطعام والشراب، فضلًا عن الإيواء. وبالإضافة إلى ذلك، كما سنرى، قد كان كل من نُزُل الطريق والحانة

يرتبطان بمزاولة الدعارة. ولقد كان هناك أيضًا بعض الاستراحات المخصصة كمحطات استبدال على طول الطريق العمومى السريع، وتقوم على تبديل مطايا حملة البريد الإمبراطورى وموظفى الدولة. وكانت إحدى تلك الاستراحات، هى التى آوى إليها كوزماس، الذى كان وكيلًا حكوميًّا (*μαγιστριανός*)، من أجل أن يبيت ليلة، فأمضى المساء فى أحضان النادلة مارى، وكانت نتيجة اتصالهما القصير مولد القديس الشهير ثيودور السيكيونى". انظر: Magoulias, "Bathhouse, Inn, Tavern, Prostitution and the Stage", p. 238.

(٥٥) ينوه دوفين فى هذا الصدد إلى القانون (*CJ* 9.9.28). انظر: Dauphin, "Brothels, Baths and Babes", p. 51. كذلك نظر القانون (*CJ* 5.5.7)
الصادر فى عام ٤٥٤م إلى كل من الإماء وبناتهن، والمحررات وبناتهن، والممثلات وبناتهن، وبنات النادلات، وبنات صاحبات بيوت الدعارة، وبنات المصارعين، وكذا إلى أى من النساء اللواتى يجعلن أجسادهن سلعًا تجارية تُباع وتُشترى، على أنهن جميعًا نسوة ينتمين إلى المرتبة الاجتماعية الدنيا، ومن ثم حرم ذلك القانون على الرجال المنتمين لطبقة السناتو الزواج من مثل هذه الفئات الوضيعة من النساء. غير أن القانون الجديد (*Nov.* 117.6) الذى أصدره جستنيان فى عام ٥٤٢م عارض نص القانون السابق فسمح لجميع الرجال من أصحاب المراتب العليا والمقامات الرفيعة بالزواج من النساء المنتميات للفئات السالف ذكرها، شريطة أن يبرموا معهن عقودًا لإثبات الزواج، وإن ظل القانون الأخير فى فحواه ينطوى أيضًا على النظر إلى أولئك النسوة بوصفهن ينتمين إلى المرتبة الاجتماعية الوضيعة ذاتها. انظر: *The Civil Law*, trans. Scott, vol. 13 (*The Code of Justinian*, Books IV–VI), Book V, Title 5, pp. 155 ff; vol. 15 (*The Code of Justinian*, Books IX–XII), Book IX, Title 9, pp. 8 ff; vol. 17 (*The New Constitutions (Novels) of Justinian*, Collections VIII–IX *& Constitutions of Leo & General Index*), Coll. VIII, Title 18, New Const. 117, Chap. 6, p. 53.

(٥٦)Dauphin, "Brothels, Baths and Babes", p. 51.

) التابعة للكنائس *xenodochia*/or *xenones* ولمزيد من التفصيل عن الاستراحات (والأديرة والمنشأة بغرض تقديم الضيافة والإيواء للمسافرين والحجاج وعابرى السبيل فى أرجاء العالم البيزنطى؛ انظر: Constantelos, *Byzantine Philanthropy*, pp. 185-221.

(٥٧) *The Life of St. Theodore of Sykeon*, Chaps. 3-6. Chaps. 25, 32. وانظر: عن اقتداء قريبات القديس ثيودور بفضائله وأعماله الجليلة St.ورغبتهن فى محاكاته، وتحول جدته إلى الرهبنة فيما بعد بدير القديس كريستوفر ، وتوليها الإشراف هناك حتى نهاية حياتها على الراهبات المستجدات من Christopher النسوة التائبات.

(٥٨) عن يوحنا موسخوس ومصنفه؛ انظر: P. Pattenden, "The Text of the *Pratum Spirituale*", *Journal of Theological Studies N.S.* 26.1 (1975), pp. 38-54; B. L. Ihssen, *John Moschos' Spiritual Meadow: Authority and Autonomy at the End of the Antique World*, Farnham: Surrey 2014.

؛ وانظر أيضًا: أسد رستم، الروم: فى سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب، مؤسسة هنداوى سى آى سى، وندسور: المملكة المتحدة، ٢٠١٨، ص١٩٥.

(٥٩) Moschos, *Prat. Spir.* 136, trans. J. Wortley, *John Moschos, The Spiritual Meadow (Pratum Spirituale)*, Cistercian Studies Series 139, Kalamazoo, Mich. 1992, pp. 111-12. تعليقًا على هذه

الرواية وما نقله موسخوس من أخبار أخرى عن الراهب ذاته فى موضع آخر من مصنفه (*Prat. Spir.* 93) ترجح سوزان هولمان أن الراهب سيسينيوس لم يغادر الكهف الذى اعتزل فيه بالقرب من نهر الأردن حتى وفاته. انظر: S. R. Holman, *The Hungry are Dying: Beggars and Bishops in Roman Cappadocia*, Oxford Studies in Historical Theology, Oxford – New York: Oxford University Press 2001, p. 31, n. 2.

(٦٠) Moschos, *Prat. Spir.* 186, trans. Wortley, p. 158.

(٦١) *Ibid.* 207, pp. 185-6.

وتابع موسخوس فيما بقى من حكاية هذه الفتاة السكندرية بما نصه: *وقال بعض الناس الذين عرفوها وعرفوا الوضع الذى كان يتمتع به أبواها فى المجتمع: 'من يدرى بأحكام الله ولماذا يدع روحًا تهوى لسبب أو لآخر؟'. وبعد فترة مرضت الفتاة وعادت إلى رشدها، ولما أنهكها الندم قالت لجيرانها: 'استحلفكم بالله أن ترحموا روحى وتسألوا البابا أن يجعلنى مسيحية (أى يعمدنى)'، بيد أنهم جميعًا ضحكوا عليها وقالوا: 'وكأنه سيقبل عاهرة !'، فأصابها ذلك بقنوط شديد. وبينما كانت الفتاة على هذه الحال من الاحباط الرهيب، ظهر لها ملاك من عند الله فى هيئة الرجل الذى عطفت عليه يومًا ما، وقال لها: 'ما الخطب؟' فأجابت: 'أريد أن أُعمد ولن يساعدنى أحد على ذلك'، فقال: 'وهل حقًا ترغبين فى ذلك؟'، فأجابت: 'نعم، أتوسل إليك'، فقال لها: 'فلتتشجعى، وبدورى سأجعل معك من يأخذونك إلى الكنيسة'، وبالفعل أحضر اثنين آخرين من الملائكة وحملوها إلى الكنيسة، وعندها حولوا أنفسهم إلى هيئة شخصيات بارزة من كبار رجال الدولة، واستدعوا رجال الدين المكلفين بالتعميد وسألوهم: 'هل تقبلها شركتكم؟'، فأجابوا: 'نعم'. وبعدها قام رجال الدين بتعميد جميع من استُدعوا من أجل تعميدهم، ثم عمدوا الفتاة باسم الآب والابن والروح القدس وكسوها بملبس حديثى العماد. وعادت الفتاة إلى بيتها مرتدية الرداء الأبيض يحملها الملائكة الذين أجلسوها واختفوا على الفور ...* . وقد يرتبط بالسياق ذاته أيضًا الحكاية التى سجلها يوحنا موسخوس فى موضع آخر من مصنفه (*Prat. Spir.* 189) عن سيدة من عسقلان كان زوجها يعمل تاجرًا وفقد بضاعته فى البحر فأفلس وخسر كل ما يملك، ثم دخل السجن بعدما بيع كل شىء فى منزله وعجز عن الوفاء بديونه لدائنيه. وعلى الرغم من الضيق الشديد الذى كانت تعانيه زوجته، فقد أوجبت على نفسها أن تحضر الخبز على الأقل لزوجها ليُطعم به فى محبسه. وفى أحد الأيام، بينما كانت هذه السيدة تزور زوجها فى السجن وتتناول معه الطعام كالمعتاد، حضر شخص بارز من علية القوم ليوزع بعض الحاجيات والمؤن على المساجين من باب المواساة والإحسان، غير أن عينه قد وقعت على السيدة فتملكته الرغبة فيها، حيث كانت فاتنة المظهر للغاية، وما كان منه إلا أن بعث إليها برسالة مع السجان لتأتى عنده، فجاءت إليه بقلب مسرور متوقعة أن يتصدق عليها بشىء من الإحسان، ولكنه أخذها جانبًا وسألها عن سبب وجودها فى هذا المكان، فأخبرته بالقصة

كلها، وكانت المفاجأة أن عرض عليها أن يسدد ديون زوجها بالكامل فى مقابل أن تنام معه ليلتها. ولكن السيدة التى كانت حلوة القلب والقالب ذكَّرت الرجل الميسور الحال صاحب المكانة الرفيعة بنص من الكتاب المقدس يقول: *لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهَا، بَلْ لِلرَّجُلِ* (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٧: ٤)، وطلبت منه أن يدعها تذهب لتسأل زوجها فإن وافق نفذت له ما يريد. ثم ذهبت السيدة إلى زوجها وأخبرته الأمر برمته، فما كان منه إلا أن أمرها وهو يتنهد ويبكى بحرقة أن ترفض ما يطلبه ذلك الرجل، وأبى الزوج الشريف أن يجعل من جسد زوجته ثمنًا لحريته. وبعدها شاء الله أن ينقذ هذا الزوج من عثرته ويسدد كل ديونه فيخرج من محبسه دون أن يدنس أحد شرفه.

(٦٢) *The Life of Symeon the Fool*, Chap. 4 [151-152], trans. D. Krueger, *Symeon the Holy Fool: Leontius's Life and the Late Antique City*, Berkeley – Los Angeles: University of California Press 1996, pp. 155-6.

(٦٣) *The Life of St. John the Almsgiver*, in E. Dawes (trans.) & N. H. Baynes (introd. and notes), *Three Byzantine Saints: Contemporary Biographies of St. Daniel the Stylite, St. Theodore of Sykeon and St. John the Almsgiver*, London 1948, Chap. 36. اعتمد الباحث على النسخة الإلكترونية من هذا المصدر، المنشورة على الموقع التالى:
https://sourcebooks.fordham.edu/basis/john-almsgiver.asp
فضلًا عن نسخة إلكترونية أخرى من المصدر نفسه تحت عنوان:
The Life of St John the Almsgiver by Leontius, bishop of Neapolis in Cyprus, translated by Anastasius, his librarian. منشورة على الموقع التالى:
http://www.vitae-patrum.org.uk/page24.html
وقد تضمنت سيرة القديس يوحنا المتصدق أيضًا (Chap. 43) قصة العاهرة بورفيريا Porphyria التى تابت عن العهر وتحولت إلى راهبة فى مدينة صور، وفى حياتها الرهبانية الجديدة أُعطيت اسم بيلاجيا Pelagia، ربما تأسيًا بالقديسة بيلاجيا الأنطاكية، وشجعت بعملها ذاك عددًا كبيرًا من العاهرات على التوبة مثلها والتحول إلى راهبات فى الدير ذاته الذى اعتزلت فيه بيلاجيا أو العاهرة بورفيريا سابقًا.

(٦٤) S. A. Ivanov, "A Saint in a Whore-house", *Byzantinoslavica* 56.2 (1995), pp. 439-45.
وبعبارات بليغة يعلق دوفين على استمرار ممارسات البغاء جنبًا إلى جنب هذه المجاهدات الرهبانية داخل المجتمعات البيزنطية المسيحية، عندما يقول: "وهكذا ؛ إننا مواجهون بمفارقة تتمثل فى التعايش بين الفسق والقداسة ؛ بين الشهوانية والنسكية المسيحية. ولكن علينا ألا ننسى أنه لا معنى للفضيلة بغير وجود الرذيلة، ولا يمكن أن توجد القداسة إلا إذا وُجدت الدناسة". انظر: Dauphin, "Brothels, Baths and Babes", p. 48.

(٦٥) فى هذا الصدد تقول هيرين: "إن تجربة ثيودورا لإيداع العاهرات فى منازل ديرية كريمة لم تكن أكثر أو أقل نجاحًا على ما يبدو من التجربة ذاتها التى تكررت فى القرن الحادى عشر الميلادى". انظر: Herrin, "In Search of Byzantine Women", p. 170. ومعتمدًا على مؤرخ القرن الحادى عشر الميلادى الفيلسوف الشهير ميخائيل بسللوس Michael Psellos، أوضح ديمتريوس كونستنتيلوس أن الإمبراطور ميخائيل الرابع Michael IV (١٠٣٤ – ١٠٤١م) قد أراد القيام بعمل صالح يقربه إلى الله، فأنشأ صرحًا عظيمًا فى غاية الروعة والجمال ليسكن فيه العاهرات اللواتى كن على استعداد للتوبة، ثم أصدر الإمبراطور إعلانًا رسميًا جاء فيه ما نصه: *إن جميع النساء اللواتى يتاجرن بفتنتهن، إذا رغبن فى التخلى عن تجارتهن، وأردن العيش فى رفاهية، فسيجدن فى هذا المبنى ملجأً لهن، وكل ما عليهن فعله فقط هو تغيير ثيابهن وارتداء ثياب الراهبات، وعليه فسوف تُزال كل مخاوف الفقر من حياتهن إلى الأبد* ... وبسبب هذا الإعلان الإمبراطورى توجهت أعداد غفيرة جدًا من العاهرات للعيش فى الملجأ الذى أقامه ميخائيل الرابع، وبالفعل غيرت العاهرات التائبات داخل هذا الملجأ لباسهن ومسلكهن فى الحياة، وأبدى حزب من العاهرات الشابات التائبات همة عالية فى الخدمة الروحية فصرن بحق خير أجناد للفضيلة. انظر: Constantelos, *Byzantine Philanthropy*, p. 273.

(٦٦) لمزيد من البحوث والمقالات ذات الصلة بالبغاء والعاهرات بصفة عامة فى الإمبراطورية

البيزنطية؛ انظر: W. W. Sanger, *The History of Prostitution: Its Extent, Causes and Effects Throughout the World*, New York 1858, esp. 86-93; P. Koukoules, *Βυζαντινῶν Βίος καὶ Πολιτισμός*, vol. 2, pt. 2, Athens 1948, pp. 117-62; J. Irmscher, "Die Bewertung der Prostitution im byzantinischen Recht", in M. N. Andreev u. a. (Hrsg.), *Gesellschaft und Recht im griechisch-römischen Altertum: Eine Aufsatzsammlung*, Bd. 2, Berlin 1969, pp. 77-94; L. L. Otis, *Prostitution in Medieval Society*, Chicago: The University of Chicago Press 1985, esp. 9-14; R. M. Karras, "Holy Harlots: Prostitute Saints in Medieval Legend", *Journal of the History of Sexuality* 1.1 (1990), pp. 3-32; J. Herrin, "Prostitution (*πορνεία*)", in A. P. Kazhdan et al. (eds.), *The Oxford Dictionary of Byzantium*, vol. 3, Oxford – New York: Oxford University Press 1991, pp. 1741-2; E. Poulakou-Rebelakou & J. Lascaratos & S. G. Marketos, "Abortions in Byzantine times (325–1453 AD)", *Vesalius* 2.1 (1996), pp. 19-25; J. Lascaratos & E. Poulakou-Rebelakou, "Child sexual abuse: historical cases in the Byzantine Empire (324–1453 A.D.)", *Child Abuse & Neglect* 24.8 (2000), pp. 1085-90; C. Gaşpar, "Harlots into Holy Places: Narratives of Religious Change and the Rhetoric of Abuse in Late Antiquity", *Synthesis* 30 (2003), pp. 115-25; J. Shepard (ed.), The Cambridge history of the Byzantine Empire c. 500–1492, Cambridge: Cambridge University Press 2008, *passim*; E. Davies, *From womb to the tomb: the Byzantine life course AD 518 – 1204*, Ph. D. dissertation, University of Birmingham 2013, *passim*; A.-B. Znorovszky, *Between Mary and Christ: Depicting Cross-Dressed Saints in the Middle Ages (c. 1200-1600)*, Ph. D. dissertation, Central European University 2016, *passim*; G. Leiser, *Prostitution in the Eastern Mediterranean World: The Economics of Sex in the Late Antique and Medieval Middle East*, London 2017.

مصادر ومراجع البحث

أولًا. المصادر الأجنبية:

- *BGU* IV = *Aegyptische Urkunden aus den Königlichen Museen zu Berlin, Griechische Urkunden*, vol. 4 (Nos. 1013-1209), Berlin 1912.

- Demosthenes, *Speeches* 50 – 59, trans. V. Bers, The Oratory of Classical Greece 6, Austin: University of Texas Press 2003.
- John of Ephesus, *Lives of the Eastern saints*, vol. 1, ed. & trans. E. W. Brooks, Patrologia Orientalis 17.1, Paris 1923.
- *Life of St. Mary of Egypt*, trans. M. Kouli, in A.-M. Talbot (ed.), *Holy Women of Byzantium: Ten Saint's Lives in English Translation*, Byzantine saints' lives in translation 1, Washington, D.C.: Dumbarton Oaks 1996, pp. 65-93.
- *Life of St. Pelagia of Antioch*, in S. P. Brock & S. A. Harvey (trans.), *Holy Women of the Syrian Orient*, The Transformation of the Classical Heritage 13, Berkeley – Los Angeles – London: University of California Press 1998, pp. 40-62.
- Malalas, *Chron. = The Chronicle of John Malalas*, trans. E. Jeffreys *et al.*, Byzantina Australiensia 4, Melbourne: Australian Association for Byzantine Studies 1986.
- Moschos, *Prat. Spir. = John Moschos, The Spiritual Meadow (Pratum Spirituale)*, trans. J. Wortley, Cistercian Studies Series 139, Kalamazoo, Mich. 1992.
- Procopius, *Aedif. = Procopius, Secret History, Wars, Buildings: in Seven Volumes*, trans. H. B. Dewing, vol. 7 (*On Buildings & General Index*), Loeb Classical Library 343, Cambridge, Mass.: Harvard University Press 1940.
- _____, *Anecd. = Prokopios, The Secret History: with Related Texts*, trans. A. Kaldellis, Indianapolis – Cambridge 2010.

- S. John Chrysostom, Archbishop of Constantinople, *The Homilies on the Epistle of St. Paul the Apostle to the Romans*, translated with notes and indices, Oxford 1841.
- _____, *The Homilies on the Gospel of St. John*, translated with notes and indices, vol. 1 (Hom. I – XLI), Oxford 1848.
- _____, *The Homilies on the Gospel of St. Matthew*, translated with notes and indices, vol. 3 (Hom. LIX – XC), Oxford 1851.
- *The Civil Law, incl. The Twelve Tables, The Institutes of Gaius, The Rules of Ulpian, The Opinions of Paulus, The Enactments of Justinian, and the Constitutions of Leo*, 17 Vols., trans. S. P. Scott, Cincinnati 1932.
- *The Life of St. John the Almsgiver*, in E. Dawes (trans.) & N. H. Baynes (introd. and notes), *Three Byzantine Saints: Contemporary Biographies of St. Daniel the Stylite, St. Theodore of Sykeon and St. John the Almsgiver*, London 1948.
- *The Life of St. Theodore of Sykeon*, in E. Dawes (trans.) & N. H. Baynes (introd. and notes), *Three Byzantine Saints: Contemporary Biographies of St. Daniel the Stylite, St. Theodore of Sykeon and St. John the Almsgiver*, London 1948.
- *The Life of Symeon the Fool*, in D. Krueger (trans.), *Symeon the Holy Fool: Leontius's Life and the Late Antique City*, Berkeley – Los Angeles: University of California Press 1996.

ثانيًا. المصادر العربية والمعربة:

- الكتاب المقدس

- بالاديوس، التاريخ اللاوسى، ضمن كتاب التاريخ الرهبانى فى أواخر القرن الرابع الميلادى، ترجمة: الأب بولا ساويرس البراموسى، ط١، مركز باناريون للتراث الآبائى، القاهرة، ٢٠١٣.
- بروكوبيوس، التاريخ السرى، ترجمة: صبرى أبو الخير سليم، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١.
- مقننة الإديولوجوس المسطرة على وثيقة بردية نادرة وبها العديد من بنود الدستور الذى سنه أغسطس لمصر الرومانية، ترجمة: زكى على، القاهرة، ١٩٩٨.

ثالثًا. المراجع الأجنبية:

- Bagnall, R. S., *Egypt in Late Antiquity*, Princeton 1993.
- Baldwin, B., "Three-Obol Girls in Procopius", *Hermes* 120.2 (1992), pp. 255-7.
- Beard, M. & Henderson J., "With This Body I Thee Worship: Sacred Prostitution in Antiquity", in M. Wyke (ed.), *Gender and the Body in the Ancient Mediterranean*, Oxford – Malden, Mass. 1998, pp. 56-79.
- Beaucamp, J., *Le statut de la femme à Byzance (4e-7e siècle)*, tom. 1 (*Le droit impérial*), Travaux et mémoires du centre de recherche d'histoire et civilisation de Byzance, Monographies 5, Paris 1990.
- Bonk, E., *Differentiating Slaves from Wives in Ancient Athens by Social Death*, Research Thesis Presented in partial fulfillment of the requirements for graduation with Honors, Department of Classics – The Ohio State University 2013.
- Browning, R., *Justinian and Theodora*, rev. ed.,

London 1987.

- Budin, S. L., "*Pallakai*, Prostitutes, and Prophetesses", *Classical Philology* 98 (2003), pp. 148-59.
- _____, *The Myth of Sacred Prostitution in Antiquity*, Cambridge, U.K. 2008.
- Charanis, P., "Some Aspects of Daily Life in Byzantium", *Greek Orthodox Theological Review* 8 (1962 – 63), pp. 53-70, reprinted in P. Charanis, *Social, Economic and Political Life in the Byzantine Empire: Collected Studies*, London 1973, no. XI.
- Constantelos, D. J., *Byzantine Philanthropy and Social Wellfare*, New Brunswick – New Jersey 1968.
- Dalby, A., "Levels of Concealment: The Dress of *Hetairai* and *Pornai* in Greek Texts", in L. Llewellyn-Jones (ed.), *Women's Dress in the Ancient Greek World*, London 2002, pp. 111-24.
- Daube, D., "The Marriage of Justinian and Theodora. Legal and Theological Reflections", *Catholic University Law Review* 16.4 (1967), pp. 380-99.
- Dauphin, C., "Brothels, Baths and Babes: Prostitution in the Byzantine Holy Land", *Classics Ireland* 3 (1996), pp. 47-72.
- Davidson, J. N., *Courtesans and Fishcakes: The Consuming Passions of Classical Athens*, London 1998.
- Davies, E., *From womb to the tomb: the Byzantine life course AD 518 – 1204*, Ph. D. dissertation, University of Birmingham 2013.
- Disney, J. (ed. & trans.), *A View of Ancient Laws, Against Immorality and Profaneness, Collected from the Jewish, Roman, Greek, Gothic, Lombard, and*

Other Laws, Down to the Middle of the Eleventh Century, Cambridge 1729.

- Ellis, S. J. R., "The Distribution of Bars at Pompeii: Archaeological, Spatial, and Viewshed Analyses", *Journal of Roman Archaeology* 17 (2004), pp. 371-84.
- Faraone, C. A. & McClure, L. K. (eds.), *Prostitutes and Courtesans in the Ancient World*, Madison: University of Wisconsin Press 2006.
- Flemming, R., "Quae Corpore Quaestum Facit: The Sexual Economy of Female Prostitution in the Roman Empire", *Journal of Roman Studies* 89 (1999), pp. 38-61.
- Foss, C., "The Empress Theodora", *Byzantion* 72.1 (2002), pp. 141-76.
- Gaşpar, C., "Harlots into Holy Places: Narratives of Religious Change and the Rhetoric of Abuse in Late Antiquity", *Synthesis* 30 (2003), pp. 115-25.
- Gilmer, J. M., "Procopius of Caesarea: A Case Study in Imperial Criticism", *Βυζαντινά Σύμμεικτα* 23 (2013), pp. 45-57.
- Hamel, D., *Trying Neaira: The True Story of a Courtesan's Scandalous Life in Ancient Greece*, New Haven, Conn.: Yale University Press 2003.
- Harvey, S. A., "Theodora the "Believing Queen": A Study in Syriac Historiographical Tradition", *Hugoye: Journal of Syriac Studies* 4.2 (2001 [2010]), pp. 209-34.
- Hecker, E. A., *A Short History of Women's Rights: From the Days of Augustus to the Present Time*, New York 2005.
- Hefele, K. J. von, *A History of the Councils of the*

Church, from the original documents, vol. 5 (*A.D. 626 to the close of the Second Council of Nicaea, A.D. 787*), Edinburgh 1896.

- Herrin, J., "Prostitution (*πορνεία*)", in A. P. Kazhdan et al. (eds.), *The Oxford Dictionary of Byzantium*, vol. 3, Oxford – New York: Oxford University Press 1991, pp. 1741-2.
- _____, "In Search of Byzantine Women: Three Avenues of Approach", in A. Cameron & A. Kuhrt (eds.), *Images of Women in Antiquity*, Detroit: Wayne State University Press 1993, pp. 167-89.
- Holman, S. R., *The Hungry are Dying: Beggars and Bishops in Roman Cappadocia*, Oxford Studies in Historical Theology, Oxford – New York: Oxford University Press 2001.
- Ihssen, B. L., *John Moschos' Spiritual Meadow: Authority and Autonomy at the End of the Antique World*, Farnham: Surrey 2014.
- Irmscher, J., "Die Bewertung der Prostitution im byzantinischen Recht", in M. N. Andreev u. a. (Hrsg.), *Gesellschaft und Recht im griechisch-römischen Altertum: Eine Aufsatzsammlung*, Bd. 2, Berlin 1969, pp. 77-94.
- Ivanov, S. A., "A Saint in a Whore-house", *Byzantinoslavica* 56.2 (1995), pp. 439-45.
- Kanavou, N. & Papathomas, A., "An Alexandrian Murder Case Revisited: (P.Philammon = BGU IV 1024, pp. 6.3–8.21)", *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik* 200 (2016), pp. 453-69.
- Kapparis, K., *Prostitution in the Ancient Greek World*, Berlin – Boston 2018.
- Karras, R. M., "Holy Harlots: Prostitute Saints in

Medieval Legend", *Journal of the History of Sexuality* 1.1 (1990), pp. 3-32.

- Keenan, J. G., "Roman Criminal Law in a Berlin Papyrus Codex (BGU IV 1024–1027)", *Archiv für Papyrus-forschung* 35 (1989), pp. 15-23.
- Korte, N. E., "Procopius' Portrayal of Theodora in the Secret History: 'Her Charity was Universal'", *Hirundo: The McGill Journal of Classical Studies* 3 (2005), pp. 109-30.
- Koukoules, P., *Βυζαντινῶν Βίος καὶ Πολιτισμός*, vol. 2, pt. 2, Athens 1948.
- Lascaratos, J. & Poulakou-Rebelakou, E., "Child sexual abuse: historical cases in the Byzantine Empire (324–1453 A.D.)", *Child Abuse & Neglect* 24.8 (2000), pp. 1085-90.
- Leiser, G., *Prostitution in the Eastern Mediterranean World: The Economics of Sex in the Late Antique and Medieval Middle East*, London 2017.
- Leontsini, S., *Die Prostitution im frühen Byzanz*, Dissertationen der Universität Wien 194, Wien 1989.
- Lewis, N., *Life in Egypt under Roman Rule*, Oxford 1983.
- Lindblom, J., *Women and public space: Social codes and female presence in the Byzantine urban society of the 6th to the 8th centuries*, Ph. D. dissertation, University of Helsinki 2019.
- Llewellyn-Jones, L., *Aphrodite's Tortoise: The Veiled Woman of Ancient Greece*, Swansea 2003.
- _____, "Prostitution, Greek", in M. Gagarin & E. Fantham (eds.), *The Oxford Encyclopedia of Ancient Greece and Rome*, vol. 6, Oxford 2010, pp. 44-6.

- Mac Gaw, C. G. G., "*CJ*.4.43.2: Esclavitud y libertad, representaciones simbólicas y prácticas sociales", in A. Gonzalès (ed.), *La fin du statut servile? Affranchissement, libération, abolition*, vol. 1 (*Hommage à Jacques Annequin*), *Actes du XXXe Colloque du Groupe de recherche sur l'esclavage dans l'antiquité* 30.1, Besançon 15-17 décembre 2005, Besançon: Presses Universitaires de Franche-Comté 2008, pp. 203-12.
- Macurdy, G. H., "Apollodorus and the Speech against Neaera (Pseudo-Dem. LIX)", *The American Journal of Philology* 63.3 (1942), pp. 257-71.
- Magoulias, H. J., "Bathhouse, Inn, Tavern, Prostitution and the Stage as seen in the Lives of the Saints in the Sixth and Seventh Centuries", *Ἐπετηρὶς Ἑταιρείας Βυζαντινῶν Σπουδῶν (ΕΕΒΣ)* 38 (1971), pp. 233-52.
- McGinn, T. A. J., "The Legal Definition of Prostitute in Late Antiquity", *Memoirs of the American Academy in Rome* 42 (1997), pp. 73-116.
- _____, *Prostitution, Sexuality, and the Law in Ancient Rome*, Oxford – New York 1998.
- _____, "The Augustan Marriage Legislation and Social Practice: Elite Endogamy vs. Male 'Marrying Down'", in J-J. Aubert & A. J. B. Sirks (eds.), *Speculum Iuris: Roman Law as a Reflection of Economic and Social Life*, Ann Arbor: University of Michigan Press 2002, pp. 46-93.
- _____, "Pompeian Brothels and Social History", *Journal of Roman Archaeology Supplement* 47 (2002), pp. 7-46.
- _____, *The Economy of Prostitution in the*

Roman World: A Study of Social History and the Brothel, Ann Arbor: University of Michigan Press 2004.

- _____, "Prostitution, Roman", in M. Gagarin & E. Fantham (eds.), *The Oxford Encyclopedia of Ancient Greece and Rome*, vol. 6, Oxford 2010, pp. 46-9.
- Miner, J., "Courtesan, Concubine, Whore: Apollodorus' Deliberate Use of Terms for Prostitutes", *The American Journal of Philology* 124.1 (2003), pp. 19-37.
- Otis, L. L., *Prostitution in Medieval Society*, Chicago: The University of Chicago Press 1985.
- Pattenden, P., "The Text of the *Pratum Spirituale*", *Journal of Theological Studies N.S.* 26.1 (1975), pp. 38-54.
- Pazdernik, C., "Our Most Pious Consort Given us by God: Dissident Reactions to the Partnership of Justinian and Theodora, AD 525.–549", *Classical Antiquity* 13 (1994), pp. 256-81.
- Potter, D., *Theodora: Actress, Empress, Saint*, New York: Oxford University Press 2015.
- Poulakou-Rebelakou, E. & Lascaratos, J. & Marketos, S. G., "Abortions in Byzantine times (325–1453 AD)", *Vesalius* 2.1 (1996), pp. 19-25.
- Salmon, P., *Population et dépopulation dans l'empire Romain*, Bruxelles 1974.
- Sanger, W. W., *The History of Prostitution: Its Extent, Causes and Effects Throughout the World*, New York 1858.
- Shepard, J. (ed.), The Cambridge history of the Byzantine Empire c. 500–1492, Cambridge:

Cambridge University Press 2008.

- Silver, M., *Slave-Wives, Single Women and "Bastards" in the Ancient Greek World: Law and Economics Perspectives*, Oxford – Philadelphia 2018.
- Strandskogen, A-B. & Strandskogen, R., "Justinian I", in M. A. Farah (ed.), *Lifelines in World History: The Ancient World, The Medieval World, The Early Modern World, The Modern World*, London – New York 2009, pp. 75-82.
- Unterweger, U., "The Image of the Empress Theodora as Patron", *Wiener Jahrbuch für Kunstgeschichte* 60.1(2012), pp. 97-108.
- Vasiliev, A. A., *History of the Byzantine Empire 324-1453*, vol. 1, Madison: University of Wisconsin Press 1952.
- Ward, B., *Harlots of the Desert: A Study of Repentance in Early Monastic Sources*, Kalamazoo, Mich. 1987.
- Westermann, W. L., *The Slave Systems of Greek and Roman Antiquity*, Memoirs of the American Philosophical Society 40, Philadelphia 1955, repr. 1984.
- Znorovszky, A.-B., *Between Mary and Christ: Depicting Cross-Dressed Saints in the Middle Ages (c. 1200-1600)*, Ph. D. dissertation, Central European University 2016.

رابعًا. المراجع العربية والمعربة:

- أسد رستم، الروم: فى سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب، مؤسسة هنداوى سى آى سى، وندسور: المملكة المتحدة، ٢٠١٨.

- رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، أربعة أجزاء، جـ٤ (المسيحية الجديدة)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١.
- _____، الفكر المصرى فى العصر المسيحى، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، القاهرة، ٢٠١٢.
- السنكسار القبطى، جـ٢، ط٣، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية، القاهرة، ٢٠٠٧.
- شارل ديل، تيودورا: الممثلة المتوجة، ترجمة: حبيب جاماتى، سلسلة كتاب الهلال ١٠٩، دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٠.
- عبد العزيز رمضان، "صورة المرأة فى الأدب الرهبانى خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين"، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس، المجلد الحادى والثلاثون، ٢٠١٤، ص٣١-٥٢.
- نافتالى لويس، الحياة فى مصر فى العصر الرومانى (٣٠ق.م - ٢٨٤م)، ترجمة وتعليق: آمال محمد محمد الروبى، مراجعة: محمد حمدى إبراهيم، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧.

خامسًا. المواقع الإلكترونية:

Website	Hyperlink
http://papyri.info/	http://papyri.info/ddbdp/bgu;4;1024
https://sourcebooks.fordham.edu/	https://sourcebooks.fordham.edu/basis/theodore-sykeon.asp https://sourcebooks.fordham.edu/basis/john-almsgiver.asp
http://www.vitae-patrum.org.uk/	http://www.vitae-patrum.org.uk/page24.html